بازرسی شد
۳۷ - ۳۶

بازدید شد
۱۳۸۲

۵۹۲۶

کتابخانه مجلس شورای ملی
کتاب قطعاتی از احیاء العلوم
مؤلف غزالی
موضوع
شمارهٔ قفسه ۵۸۱۶
شماره ثبت کتاب ۸۰۸۸
۶۱۴۰۵

خطی - فهرست شده
۵۸۱۶

ولا تفرح الا عليه ولا اهتمام الا به ولا حوم الا حوله ولا انتظار وتربص الا له
وحقيق بان يعد نفسه من الموتى ويراها في اصحاب القبور فان كل ما هو
آت قريب والبعيد ما ليس بآت وقد قال صلى الله عليه وسلم الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ولن يتيسر الاستعداد للشيء الا
عند تجدد ذكره على القلب ولا يتجدد ذكره الا عند التذكر بالاصغا
الى المذكرات له والنظر في المنبهات عليه ونحن نذكر من امر الموت
ومقدماته ولواحقه واحوال الآخرة والقيامة والجنة والنار ما لا بد
للعبد من تذكاره على التكرار وملازمته بالافتكار والاستبصار ليكون
ذلك مستحثا على الاستعداد بعد قرب الرحيل فما بقي من العمر
الا القليل والخلق غافلون اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون
ونحن نذكر ما يتعلق بالموت في شطرين

الشطر الاول في مقدماته وتوابعه الى نفخة الصور وفيه ثمانية ابواب

الباب الاول في فضل ذكر الموت والترغيب فيه

الباب الثاني في ذكر طول الامل وقصره

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت

الباب الرابع في وفاة رسول الله صلعم والخلفاء الراشدين بعده

الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والامراء والصالحين

الباب السادس في اقاويل العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

الباب الاول
في ذكر الموت والترغيب في الاكثار من ذكره

اعلم ان المنهمك في الدنيا المكب على غرورها المحب لشهواتها يغفل قلبه
لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره واذا ذكر به كرهه ونفر منه واولئك
هم الذين قال الله تعالى فيهم قل ان الموت الذي تفرون منه فانه
ملاقيكم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون
ثم الناس اما منهمك او تائب مبتدئ او عارف منتهي اما المنهمك
فلا يذكر الموت وان ذكره فيذكره للتاسف على دنياه ويشتغل بمذمته
وهذا يزيده ذكر الموت من الله بعدا واما التائب فانه يكثر
ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية فيفي بتمام التوبة
وربما يكره الموت خيفة من ان يختطفه قبل تمام التوبة وقبل اصلاح الزاد
وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم

من كره

من كره لقاء الله كره الله لقاءه فان هذا ليس يكره الموت ولقاء الله وانما
يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتاخر عن لقاء الحبيب
مشتغلا بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه فلا يعد كارها للقائه
وعلامة هذا ان يكون دائم الاستعداد له لا شغل له سواه والا التحق بالمنهمك
في الدنيا واما العارف فانه يذكر الموت دائما لانه موعد لقائه
لحبيبه والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الامر يستبطئ مجيء
الموت ويحب مجيئه ليتخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين
كما روي عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة
لا افلح من ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب الي من الغنى والسقم
احب الي من الصحة والموت احب الي من الحيوة فسهل علي الموت
حتى القاك فاذن التائب معذور في كراهة الموت وهذا معذور
في حب الموت وتمنيه واعلى منهما رتبة من فوض امره الى الله فصار
لا يختار لنفسه موتا ولا حياة بل يكون احب الاشياء اليه احبها الى
مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء الى مقام التسليم والرضا
وهو الغاية والمنتهى وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فان
المنهمك في الدنيا ايضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا اذ ينغص
عليه نعيمه ويكدر عليه صفو لذته وكل ما يكدر على الانسان اللذات
والشهوات فهو من اسباب النجاة

بيان فضل ذكر الموت كيف ما كان

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر هادم اللذات اي نغصوا
به اللذات حتى ينقطع ركونكم اليها فتقبلوا على الله تعالى وقال
صلى الله عليه وسلم لو ان البهايم تعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا
وقالت عايشه يا رسول الله هل يحشر مع الشهدا احد قال نعم
من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة
كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن دار الغرور ويتقاضى بالاستعداد
للاخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك في شهوات الدنيا وقال
صلى الله عليه وسلم تحفة المومن الموت وانما قال هذا لان الدنيا سجن
المومن اذ لا يزال فيها في عنا من مقاساة نفسه ورياضة شهواته
ومدافعة شيطانه فالموت اطلاق له من هذا العذاب والاطلاق تحفة
في حقه وقال صلى الله عليه وسلم الموت كفارة لكل مسلم واراد
بذا المسلم حقا المومن صدقا الذي سلم المسلمون من لسانه ويده
ويتحقق فيه اخلاق المومنين ولم يتدنس من المعاصي الا باللمم والصغاير
فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنابه الكبائر واقامته الفرايض
وقال عطا الخراساني مر صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاه
الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات
قال الموت ○ وقال انس قال صلى الله عليه وسلم اكثروا من ذكر الموت
فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا ○ وقال صلى الله عليه وسلم كفى
بالموت مفرقا وقال كفى بالموت واعظا ○ وخرج صلى الله عليه وسلم

الى

الى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت اما والذي
نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ○ وذكر عنده
صلى الله عليه رجل فاحسنوا الثنا عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم
للموت فقالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك
وقال ابن عمر اتيت النبي عاشر عشرة فقال رجل من الانصار
من اكيس الناس واكرم الناس يا رسول الله فقال اكثرهم ذكرا للموت
واشدهم استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا
وكرامة الاخرة ○ واما الاثار فقد قال الحسن رضي الله عنه
فضح الموت الدنيا فلم يترك لذي لب فرحا ○ وقال الربيع بن خثيم
ما غايب ينتظره المومن خير له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي
احدا وسلوني الى ربي سلا ○ وكتب بعض الحكما الى رجل من اخوانه
يا اخي احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير الى دار تتمنى فيها الموت
فلا تجده ○ وكان ابن سيرين اذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه ○
وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقها فيتذاكرون الموت والقيامة
والاخرة ثم يبكون حتى كان بين ايديهم جنازة وقال ابراهيم التيمي
شيان قطعا عني لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله
وقال كعب من عرف ذكر الموت هانت عليه مصايب الدنيا
وهمومها ○ وقال مطرف رايت فيما يرى النايم كان قايلا يقول
في وسط مسجد البصرة قطع ذكر الموت قلوب الخايفين فوالله ما تراهم

الا الهايمين ○ وقال اشعث كنا ندخل على الحسن فانما هو النار وامر الاخرة
وذكر الموت ○ وقالت صفيه ان امراة شكت الى عايشه قساوة قلبها
فقالت اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجات تشكر
عايشه ○ وكان عيسى عليه السلام اذا ذكر عنده الموت يقطر جلده دما ○
وكان داود عليه السلام اذا ذكر الموت والقيامة بكى حتى تنخلع اوصاله
واذا ذكر الرحمة رجعت اليه نفسه ○ وقال الحسن ما رايت عاقلا
قط الا اصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز
لبعض العلما عظني فقال انت اول خليفة يموت قال زدني قال
ليس من اباك احد الى ادم الا ذاق الموت وقد جات نوبتك فبكى عمر
لذلك ○ وكان الربيع بن خثيم في داره قبر وكان ينام في اللحد
كل يوم مرات ليستديم به ذكر الموت وكان يقول لو فارق ذكر
الموت قلبي ساعة لفسد ○ وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير
ان هذا الموت قد نغص على اهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه ○
وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسه اكثر ذكر الموت فان كنت واسع
العيش ضيقه عليك وان كنت ضيق العيش وسعه عليك وقال
ابو سليمان الداراني قلت لام هرون اتحبين الموت قالت لا قلت لم
قالت لو عصيت ادميا ما اشتهيت لقاه فكيف احب لقاه وقد عصيته ○

بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب

اعلم ان الموت هايل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه لقلة فكرهم فيه

وذكرهم

وذكرهم له ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوات
الدنيا فلا ينجع ذكر الموت في قلبه فالطريق فيه ان يفرغ العبد قلبه عن كل شي
الا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يريد ان يسافر الى مفازة
مخطرة او يركب البحر فانه لا يتفكر الا فيه فاذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك
ان يوثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه وانفع
طريق فيه ان يكثر ذكر اشكاله واقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم
ومصرعهم تحت التراب ويتذكر صورهم في مناصبهم واحوالهم ويتامل
كيف محى التراب الان حسن صورهم وكيف تبددت اجزاوهم في قبورهم
وكيف ارملوا نساهم وايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم
مساجدهم ومجالسهم وانقطعت اثارهم فمهما تذكر رجلا رجلا
وفصل في قلبه حاله وكيفية موته وتوهم صورته وتذكر نشاطه وتردده
وامله للعيش والبقا ونسيانه للموت وانخداعه بمواتاة الاسباب
وركونه الى القوة والشباب وميله الى الضحك واللهو وغفلته عما
بين يديه من الموت الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد
الان وقد تهدمت رجلاه ومفاصله وكيف كان ينطق وقد اكل
الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد اكل التراب اسنانه وانه كيف
كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين في وقت لم يكن بينه
وبين الموت الا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاه الموت في وقت
لم يحتسبه فانكشف له صورة الملك وقرع سمعه النداء اما بالجنة او بالنار

فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته
كعاقبتهم قال ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال
ابن مسعود السعيد من وعظ بغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون
انكم تجهزون كل يوم غاديا او رائحا الى الله تعالى تضعونه في صدع
من الارض قد توسد التراب وخلف الاحباب وقطع الاسباب فملازمة
هذه الافكار وامثالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي
يجدد ذكر الموت في القلب حتى يغلب عليه بحيث يصير نصب عينيه
فعند ذلك يوشك ان يستعد له ويتجافى عن دار الغرور والا فالذكر
بظاهر القلب وعذبة اللسان قليل الجدوى في التحذير والتنبيه
ومهما طاب قلبه بشيء من الدنيا ينبغي ان يتذكر في الحال انه لا بد من
مفارقته نظر ابن مطيع يوما الى داره فاعجبه حسنها فبكى ثم قال
والله لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه من ضيق القبور
لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته

الباب الثاني

في طول الامل وفضيلة قصر الامل وسبب طوله وكيفية معالجته

فضيلة قصر الامل

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر اذا اصبحت
فلا تحدث نفسك بالمسا واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح
وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري

ما

ما اسمك غدا وروي عن علي رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم قال ان
اشد ما اخاف عليكم خصلتين اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى
فانه يعدل عن الحق واما طول الامل فانه الحب للدنيا ثم قال الا ان الله يعطي
الدنيا من يحب ويبغض واذا احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدين ابنا
وللدنيا ابنا فكونوا من ابنا الدين ولا تكونوا من ابنا الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت
مولية الا ان الاخرة قد ارتحلت مقبلة الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب
الا وانكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل وقالت ام المنذر اطلع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية الى الناس فقال ايها الناس
اما تستحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون
وتاملون ما لا تدركون وتبنون ما لا تسكنون وقال ابو سعيد الخدري
اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بماية دينار الى شهر
فسمعت رسول الله صلى الله عليه يقول الا تعجبون من اسامة المشتري
الى شهر ان اسامة لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناي
الا ظننت ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي ولا رفعت
طرفي فظننت اني واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت اني لا
اسيغها حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بني ادم ان كنتم تعقلون
فعدوا انفسكم من الموتى والذي نفسي بيده انما توعدون لآت وما انتم
بمعجزين وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه كان يخرج يهريق
الما فيتمسح بالتراب فاقول له يا رسول الله ان الما منك قريب فيقول

ما يدريني لعلي لا ابلغه وروي انه صلى الله عليه اخذ ثلثة اعواد
فغرز عودا بين يديه والاخر الى جنبه واما الثالث فابعده فقال
هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا الانسان وهذا الاجل
وذاك الامل يتعاطاه ابن ادم ويختلجه الاجل دون الامل وقال صلى
مثل ابن ادم والى جنبه تسع وتسعون منية ان اخطاته المنايا وقع
في الهرم قال ابن مسعود هذا المرء وهذه الحتوف حوله شوارع
اليه والهرم وراء الحتوف والامل وراء الهرم فهو يامل وهذه الحتوف
شوارع اليه فايها امر به اخذه فان اخطاته الحتوف قتله الهرم وهو
ينظر الى الامل وقال عبد الله خط لنا رسول الله صلى الله عليه
خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا الى جنب الخط
وخط خطا خارجا فقال اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله اعلم
قال هذا الانسان للخط الذي في وسطه وهذا الاجل محيط به وهذه
الاعراض للخطوط التي حوله تنهشه ان اخطاه هذا نهشه هذا
وذاك الامل للخط الخارج وقال انس قال رسول الله صلى
يهرم ابن ادم ويبقى معه اثنان الحرص والامل وفي رواية ويشب منه
اثنان الحرص على المال والحرص على العمر وقال صلى الله عليه وسلم
نجا اول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك اخر هذه الامة بالبخل والامل
وقيل بينا عيسى صلى الله عليه وسلم جالس وشيخ يعمل بمسحاة
يثير بها الارض فقال عيسى اللهم انزع عنه الامل فوضع الشيخ المسحاة

واضطجع

واضطجع فلبث ساعة فقال عيسى اللهم اردد اليه الامل فقام
فجعل يعمل فساله عيسى عن ذلك فقال بينا انا اعمل اذ قالت لي نفسي
الى متى تعمل وانت شيخ كبير فالقيت المسحاة واضطجعت ثم قالت
لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقمت الى مسحاتي
وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم اكلكم يحب ان يدخل الجنة
قالوا نعم يا رسول الله قال قصروا من الامل وثبتوا اجالكم بين ابصاركم
واستحيوا من الله حق الحيا وكان صلى الله عليه وسلم يقول في
دعايه اللهم اني اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حيوة
تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل الاثار
قال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلي لخشيت على ذهاب عقلي
ولكن الله من على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بعيش
ولا قامت بينهم الاسواق وقال الحسن السهو والامل نعمتان
عظيمتان على بني ادم ولولاهما ما مشى المسلمون في الطرق وقال
الثوري بلغني ان الانسان خلق احمق ولولا ذلك لم يهنه العيش
وقال سعيد بن عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها
وقال سلمان الفارسي ثلث اعجبتني حتى اضحكتني مومل الدنيا والموت يطلبه
وغافل ليس يغفل عنه وضاحك مل فيه لا يدري اساخط رب
العالمين عليه ام راض وثلث احزنتني حتى ابكتني فراق محمد وحزبه
والهجر وهول المطلع والوقوف بين يدي ربي لا ادري الى الجنة

يوسن بن اد الى النار ه وقال بعضهم رايت زرارة بن اوفى بعد موته
في المنام فقلت اي الاعمال افضل عندكم قال التوكل وقصر الامل ه وقال
الثوري الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولبس العباء ه
وسال المفضل بن فضالة ربه ان يرفع عنه الامل فذهب عنه شهوة
الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الامل فرجع الى الطعام والشراب ه
وقيل للحسن يا با سعيد الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من ذلك ه
وقال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم ه
وقال بعضهم انا كرجل ماد عنقه والسيف عليه ينتظر متى
تضرب عنقه ه وقال داود الطائي لو املت ان اعيش شهرا لرايتني
قد اتيت عظيما وكيف امل ذلك وارى الفجائع تغشى الخلائق
في ساعات الليل والنهار ه وحكي ان شقيقا البلخي جاء الى استاذ
له يقال له ابو هاشم الرماني وفي طرف كسائه شي مصرور فقال له استاذه
ايش هذا معك قال لوزات دفعها الي اخ لي وقال احب ان تفطر
عليها فقال يا شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقى الى الليل لا
كلمتك ابدا قال فاغلق في وجهي الباب ودخل ه وقال عمر بن عبد
العزيز في خطبته ان لكل سفر زادا لا محالة فتزودوا السفركم
من الدنيا الى الاخرة التقوى وكونوا كمن عاين ما اعد الله من ثوابه
وعقابه ترغبوا وترهبوا ولا يطولن عليكم الامل فتقسوا قلوبكم
وتنقادوا لعدوكم فانه والله ما بسط امل من لا يدري لعله لا يصبح
بعد مسائه ولا يمسي بعد صباحه وربما كان بين ذلك خطفات المنايا
وكم رايتم ورايناه من كان بالدنيا مغترا وانما تقر عين من وثق بالنجاة من عذاب
الله وانما يفرح من امن اهوال يوم القيامة فاما من لا يداوي كلما الا اصابه
جارح من ناحية اخرى فكيف يفرح اعوذ بالله ان امركم بما انهى عنه
نفسي فتخسر صفقتي وتظهر عيبتي وتبدوا مسكنتي في يوم يبدوا
فيه الغنى والفقر الموازين فيه منصوبة لقد عنيتم بامر لو عنيت به
النجوم انكدرت ولو عنيت به الجبال لذابت ولو عنيت به الارض لتشققت
اما تعلمون انه ليس بين الجنة والنار منزلة وانكم صائرون الى احديهما ه
وكتب رجل الى اخ له اما بعد فان الدنيا حلم والاخرة يقظة
والمتوسط بينهما الموت ونحن في اضغاث احلام والسلام ه وكتب
اخر الى اخ له ان الحزن على الدنيا طويل والموت من الانسان قريب
وللنقص في كل يوم منه نصيب وللبلى في جسمه دبيب فبادر قبل
ان تنادي بالرحيل والسلام ه وقال الحسن كان ادم عليه السلام
قبل ان يخطي امله خلف ظهره واجله بين عينيه فلما اصاب الخطيئة
حول فجعل امله بين عينيه واجله خلف ظهره ه وقال
عبيد الله بن شميط سمعت ابي يقول ايها المغتر بطول صحته
اما رايت ميتا قط من غير سقم ايها المغتر بطول المهلة اما رايت
ماخوذا قط من غير عدة انك لو فكرت في طول عمرك لنسيت ما قد تقدم
من لذاتك بالصحة تغترون ام بطول العافية تمرحون ام الموت
تامنون ام على ملك الموت تجترون ان ملك الموت اذا جاءكم لا يمنعه منك
كثرة مالك ولا كثرة احتشادك اما علمت ان ساعة الموت ذات كرب
وغصص وندامة على التفريط ثم يقول رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت
رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت ه وقال ابو بكر التيمي
بينا سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب
من يقراه فاتي بوهب بن منبه فاذا فيه ابن ادم انك لو رايت قرب ما بقي
من اجلك لزهدت في طول املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت
من حرصك وحيلك وانما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت بك قدمك واسلمك
اهلك وحشمك وفارقك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب
فلا انت الى دنياك عائد ولا في حسناتك زائد فاعمل ليوم القيامة
قبل الحسرة والندامة فبكى سليمان بكاء شديدا ه وقال بعضهم
رايت كتابا من محمد بن يوسف الى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك
فاني احمد الله اليك الذي لا اله الا هو اما بعد فاني احذرك متحولك
من دار مهلتك الى دار اقامتك وجزاء اعمالك فتصير في قرار باطن الارض
بعد ظاهرها فياتيك منكر ونكير فيقعدانك وينتهرانك فان يكن الله
معك فلا باس ولا وحشة ولا فاقة وان يكن غير ذلك فاعاذني الله واياك
من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبلغك صيحة الحشر ونفخ الصور
وقيام الجبار لفصل قضاء الخلائق وخلاء الارض من اهلها والسموات من سكانها
فباحت الاسرار وسعرت النار ووضعت الموازين وجيء بالنبيين

والشهداء وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح
ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري
ما حالي وحالك يومئذ ففي هذا ما هدم اللذات واسلا عن الشهوات
وقصر عن الامل واستيقظ النائمين وحذر الغافلين اعاننا الله واياك
على هذا الخطر العظيم واوقع الدنيا والاخرة في قلبي وقلبك موقعهما
من قلوب المتقين فانما نحن به وله والسلام ه
وخطب عمر بن عبد العزيز فحمد الله واثنى عليه وقال
ايها الناس انكم لم تخلقوا عبثا ولن تتركوا سدى وان لكم معادا يجمعكم
الله فيه للحكم والفصل فيما بينكم فخاب وشقي عبد اخرجه الله من
رحمته التي وسعت كل شيء وجنته التي عرضها السموات والارض وانما
يكون الامان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا بباق وشقوة
بسعادة الا ترون انكم في اصلاب الهالكين وسيخلف بعدكم الباقون
الا ترون انكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله تعالى قد قضى
نحبه وانقطع امله فتضعونه في بطن صدع من الارض غير موسد
ولا ممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وواجه الحساب وايم الله
اني لاقول مقالتي هذه ولا اعلم عند احد منكم من الذنوب اكثر مما اعلم
من نفسي ولكنها سنن من الله عادلة امر فيها بطاعته ونهى فيها عن معصيته
واستغفر الله لي ولكم ثم وضع كمه على وجهه فبكى حتى بلت دموعه
لحيته وما عاد الى مجلسه حتى مات ه وقال القعقاع بن حكيم قد استعددت

للموت منذ ثلثين سنة فلو اتاني ما احببت تاخير شي عن شي ❊ وقال
الثوري رايت شيخا في مسجد الكوفة يقول انا في هذا المسجد منذ ثلثين سنة
انتظر الموت ان ينزل بي لو اتاني ما امرته بشي ولا نهيته عن شي ولا لي على احد شي
ولا لاحد عندي شي ❊ وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعل
اكفانك قد خرجت من عند القصار ❊ وقال ابو محمد الزاهد خرجنا
في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ فقعد ناحية وهي
تدفن فجئت فقعدت قريبا منه فتكلم فقال من خاف الوعيد قصر عليه
البعيد ومن طال امله ضعف عليه عمله وكل ما هو ات قريب واعلم يا اخي
ان كل شي يشغلك عن ربك فهو عليك مشوم واعلم ان اهل الدنيا جميعا
من اهل القبور انما يندمون على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما
عليه اهل القبور ندموا اهل الدنيا عليه يقتتلون وفيه يتنافسون
وعليه غدا عند القضاة يختصمون ❊ وقال محمد بن ابي توبة اقام
معروف الكرخي الصلاة وقال لي تقدم فقلت اني ان صليت بكم هذه
الصلاة لم اصل بكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي
صلاة اخرى نعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل ❊ وقال
عمر بن عبد العزيز في خطبته ان الدنيا ليست بدار قراركم دار كتب الله
عليها الفنا وكتب على اهلها منها الظعن فكم عامر موثق عما قليل يخرب
وكم مقيم مغتبط عما قليل يظعن فاحسنوا رحمكم الله منها الرحلة باحسن
ما بحضرتكم من النقلة وتزودوا فان خير الزاد التقوى انما الذي بقي كون فلان

وكلص

فلما ذهب بينا ابن ادم في الدنيا يتنافس وهو بها قرير عين اذ دعاه الله
بقدرة ورماه بيوم حتفه فسلبه اثاره ودنياه وصير لقوم اخرين مصانعه
ومعناه ان الدنيا لا تسر بقدر ما تضر انها تسر قليلا وتحزن طويلا ❊
وعن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه كان يقول في خطبته اين الوضاءة
الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم اين الملوك الذين بنوا المداين
وحصنوها بالحيطان اين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحروب
قد تضعضع بهم الدهر فاصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا ثم النجا النجا ❊

بيان السبب في طول الامل وعلاجه

اعلم ان طول الامل له سببان احدهما الجهل والاخر حب الدنيا اما
حب الدنيا فهو انه اذا انس بها وبشهواتها ولذاتها وعلايقها ثقل على
قلبه مفارقتها فامتنع قلبه عن الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها
وكل من كره شيا دفعه عن نفسه والانسان مشغوف بالاماني
الباطلة فيمني نفسه ابدا بما يوافق مراده ولنما يوافق مراده البقا
في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويقدر توابع البقا
وما يحتاج اليه من مال واهل ودار واصدقا ودواب وساير اسباب
الدنيا فيصير قلبه عاكفا على هذا الفكر موقوفا عليه فيلهو عن ذكر
الموت ولا يقدر قربه فان خطر له في بعض الاحوال امر الموت والحاجة
الى الاستعداد له سوف ووعد نفسه وقال الايام بين يديك
فالى ان تكبر ثم تتوب واذا كبر فيقول الى ان تصير شيخا فاذا صار

شيخا قال الى ان تفرغ من بنا هذه الدار او عمارة هذه الضيعة او ترجع
من هذه السفرة او تفرغ من تدبير هذا الولد وجهازه وتدبير مسكن له
او تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويوخر
ولا يخوض في شغل الا ويتعلق باتمام ذلك الشغل عشرة اشغال اخر
وهكذا على التدريج يوخر يوما بعد يوم ويفضي به شغل الى شغل
بل الى اشغال الى ان تختطفه المنية في وقت لا يحتسبه فتطول
عند ذلك حسرته واكثر اهل النار صياحهم من سوف يقولون واحزناه
من سوف والمسوف المسكين لا يدري ان الذي يدعوه الى التسويف
اليوم هو معه غدا وانما يزداد بطول المدة قوة ورسوخا ويظن
انه يتصور ان يكون للخايض في الدنيا والحافظ لها فراغ قط وهيهات
ما فرغ منها الا من اطرحها ❊

فما قضى احد منها لبانته ولا انتهى ارب منها الا الى ارب

واصل هذه الاماني كلها حب الدنيا والانس بها والغفلة عن معنى قوله
صلى الله عليه احبب ما احببت فانك مفارقه ❊ واما الجهل
فان الانسان قد يعول على شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب
وليس يتفكر المسكين ان مشايخ بلده لو عدوا لكانوا اقل من عشر رجال
البلد وانما قلوا لان الموت في الشبان اكثر فالى ان يموت شيخ يموت
الف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجاة
ولا يدري ان ذلك غير بعيد وان كان ذلك بعيدا فالمرض فجاة غير بعيد

وكل مرض

وكل مرض فانما يقع فجاة واذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا
الغافل وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة
ومن صيف وشتا وخريف وربيع ومن ليل ونهار لعظم استشعاره و
اشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الامور وحب الدنيا دعواه
الى طول الامل والى الغفلة عن تقدير الموت القريب فهو ابدا يظن ان
الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقوعه فيه وهو ابدا يظن انه
يشيع الجنايز ولا يقدر ان تشيع جنازته لان هذا قد تكرر عليه والفه
وهو مشاهدة موت غيره واما موت نفسه فلم يالفه ولا يتصور ان يالفه
فانه لا يقع واذا وقع لم يقع دفعة اخرى فهو الاول وهو الاخر وسبيله
ان يقيس نفسه بغيره ويعلم انه لا بد وان تحمل جنازته ويدفن في قبره
ولعل اللبن الذي يغطا به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدري
فتسويفه جهل محض واذا عرفت ان سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه
دفع سببه اما الجهل فيدفع بالفكر الصافي من القلب الحاضر
وسماع الحكمة البالغة من القلوب الطاهرة ❊ واما حب الدنيا
فالعلاج في اخراجه من القلب شديد وهو الدا العضال الذي اعيا
الاولين والاخرين علاجه ولا علاج له الا الايمان باليوم الاخر وبما فيه
من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك
ارتحل عن قلبه حب الدنيا فان حب الخطير هو الذي يمحو عن القلب
حب الحقير فاذا راى حقارة الدنيا ونفاسة الاخرة استنكف

ان يلتفت الى الدنيا كلها وان اعطى ملك الارض من المشرق الى المغرب فكيف
وليس لكل عبد من الدنيا الا قدر يسير مكدر منغص فكيف يفرح بها
او يترسخ في القلب جهامع الايمان بالاخرة فنسئل الله تعالى ان يرينا الدنيا
كما اراها الصالحين من عباده ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل
النظر الى من مات من الاقران والاشكال وانهم كيف جاءهم الموت في وقت
لم يحتسبوا اما من كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا
بطول الامل فقد خسر خسرانا مبينا فلينظر الانسان كل ساعة
في اطرافه واعضائه وليتدبر انها كيف تاكلها الديدان لا محالة وكيف
تتفتت عظامها وليتفكر في ان الدود يبتدئ بالحدقة اليمنى اولا او باليسرى
فما على بدنه شيء الا هو طعمة الدود وما له من نفسه الا العلم والعمل
الخالص لوجه الله وكذلك يتفكر فيما سنورده من عذاب القبر
وسؤال منكر ونكير ومن الحشر والنشر واهوال القيامة وقرع النداء يوم
العرض الاكبر فامثال هذه الافكار هي التي تجدد ذكر الموت على قلبه
وتدعوه الى الاستعداد له ❊

بيان مراتب الناس في طول الامل وقصره

اعلم ان الخلق في ذلك يتفاوتون فمنهم من يامل البقاء ويشتهي ذلك ابدا
قال الله تعالى يود احدهم لو يعمر الف سنة ومنهم من يامل البقاء
الى الهرم وهو اقصى العمر الذي شاهده وراه وهو الذي يحب الدنيا
حبا شديدا قال رسول الله صلعم الشيخ شاب في حب طلب الدنيا

وان التفت من قرناه من الكبر الا الذين اتقوا وقليل ما هم ❊ ومنهم
من يامل الى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراها ولا يقدر لنفسه وجودا
في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف
فاذا جمع ما يكفيه لسنة اشتغل بالعبادة ومنهم من يامل مدة الصيف
او الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف
ومنهم من يرجع امله الى يوم وليلة فلا يستعد الا لنهاره واما للغد
فلا قال عيسى عليه السلام لا تهتموا برزق غد فان يكن غد من اجالكم
فستاتي فيه ارزاقكم مع اجالكم وان لم يكن من اجالكم فلا تهتموا لاجال
غيركم ❊ ومنهم من لا يجاوز امله ساعة كما قال صلى الله عليه وسلم
يا عبد الله اذا اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت
فلا تحدث نفسك بالصباح ❊ ومنهم من لا يقدر البقاء ايضا ساعة
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتيمم مع القدرة على الماء قبل
مضي ساعة ويقول لعلي لا ابلغه ومنهم من يكون الموت نصب عينيه
كانه واقع به وهو ينتظر وهذا الانسان هو الذي يصلي صلاة مودع
وفيه ورد ما نقل عن معاذ رضي الله عنه لما ساله رسول الله صلعم
عن حقيقة ايمانه قال ما خطوت خطوة الا ظننت اني لا اتبعها
اخرى وكما نقل عن الاسود وهو الحبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت
يمينا وشمالا فقال له قايل ما هذا قال انظر ملك الموت من اي جهة
ياتيني ❊ فهذه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس

من امله مقصور على شهر كمن امله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة
عند الله فان الله لا يظلم مثقال ذرة فمن يعمل مثقال ذرة خيرا
يره ثم يظهر اثر قصر الامل في المبادرة الى العمل وكل انسان يدعي
انه قصير الامل وهو كاذب وانما يظهر ذلك باعماله فانه يعتني باسباب
ربما لا يحتاج اليها في سنته فيدل ذلك على طول امله وانما علامة التوفيق
ان يكون الموت نصب العين لا يغفل عنه ساعة فيستعد للموت
الذي يرد عليه في الوقت فان عاش الى المساء شكر الله تعالى على طاعته
وفرح بانه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه
ثم يستانف مثله الى الصباح وهكذا اذا اصبح ولا يتيسر هذا الا لمن
فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه فمثل هذا اذا مات سعد وغنم
وان عاش سر بحسن الاستعداد ولذة المناجاة فالموت له سعادة
والحيوة له مزيد فليكن الموت على بالك يا مسكين فان السير حاث
بك وانت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت المنزل وقطعت المسافة
ولا يكون ذلك الا بمبادرة العمل اغتناما لكل نفس امهلت فيه ❊

بيان المبادرة الى العمل وحذر افة التاخير

اعلم ان من له اخوان غايبان ينتظر قدوم احدهما في غد وينتظر قدوم
الاخر بعد شهر او سنة فلا يستعد للذي يقدم الى شهر وسنة
وانما يستعد للمنتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار
فمن انتظر مجيء الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسي ما وراء المدة

ثم يصبح كل يوم وهو منتظر للسنة بكمالها لا ينقص منها اليوم الذي مضى
وذلك يمنعه من مبادرة العمل ابدا فانه ابدا يرى لنفسه متسعا في تلك
السنة فيؤخر العمل كما قال النبي عليه السلام ما ينتظر احدكم الا غنى
مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا او موتا مجهزا او الدجال ل
فالدجال شر غايب ينتظر او الساعة والساعة ادهى وامر ❊ وقال
ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا
قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل
فقرك وفراغك قبل شغلك وحيوتك قبل موتك وقال
صلى الله عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ
اي انه لا يغتنمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم
من خاف ادلج ومن ادلج بلغ المنزل الا ان سلعة الله غالية الا ان سلعة الله
الجنة وقال صلى الله عليه وسلم جاءت الراجفة تتبعها الرادفة
جاء الموت بما فيه وكان صلى الله عليه وسلم اذا انس من اصحابه غفلة
او غرة نادى فيهم بصوت رفيع اتتكم المنية راتبة لازمة اما بشقاوة
واما بسعادة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انا النذير والموت المغير والساعة الموعد وقال ابن عمر خرج رسول الله
صلى الله عليه والشمس على اطراف السعف فقال ما بقي من الدنيا الا مثل
ما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه وقال صلى الله عليه وسلم
مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره

يوشك ذلك الخيط ان ينقطع ۞ وقال جابر كان رسول الله صلى الله عليه
اذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كانه منذر جيش
يقول صبحتكم ومسّتكم بعثت انا والساعة كهاتين وقرن بين اصبعيه ۞
وقال ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان النور اذا دخل الصدر انفسح فقيل يا رسول الله هل لذلك من علامة
تعرف قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله ۞ وقال السدي الذي خلق الموت والحيوة ليبلوكم
ايكم احسن عملا اي ايكم اكثر للموت ذكرا واحسن له استعدادا ومنه
اشد خوفا وحذرا ۞ وقال حذيفة ما من صباح ولا مسا
الا منادٍ ينادي ايها الناس الرحيل الرحيل وتصديق ذلك قوله تعالى
انها لاحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم ان يتقدم او يتاخر في الموت ۞
وقال سحيم مولى بني تميم جلست الى عامر بن عبد الله وهو يصلي
فاوجز في صلاته ثم اقبل علي فقال ارحني بحاجتك فاني ابادر قلت
وما تبادر قال ملك الموت رحمك الله قال فقمت عنه وقام الى صلاته ومر
داود الطائي فساله رجل عن حديث فقال دعني انما ابادر خروج
نفسي وقال عمر رضي الله عنه التؤدة في كل شيء خير الا في اعمال الآخرة ۞
وقال المنذر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل
ان ياتيك الامر ويحك بادري قبل ان ياتيك الامر حتى كرر ذلك ستين مرة

اسمعه

اسمعه ولا يراني وكان الحسن يقول في موعظته المبادرة المبادرة فانما
هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون بها الى الله
تعالى رحم الله امرء نظر لنفسه وبكى على ذنوبه ثم قرا هذه الآية انما نعد
لهم عدا يعني الانفاس اخر العدد خروج نفسك اخر العدد فراق اهلك
اخر العدد دخولك في قبرك ۞ واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته
اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال
ان الخيل اذا ارسلت فقاربت راس مجراها اخرجت جميع ما عندها والذي
بقي من اجلي اقل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول
لامراته شدي رحلك فليس على جهنم معبر ۞ وقال بعض الخلفاء على
منبره عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صيح بهم فانتبهوا
وعلموا ان الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد اظلكم
وترحلوا فقد جد بكم وان غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة لا
لجديرة بقصر المدة وان غايبا يحدوه الجديدان الليل والنهار لحري بسرعة
الاوبة وان قادما يحل بالفوز او الشقوة لمستحق لافضل العدة فرحم الله
عبدا اتقى ربه ونصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فان اجله مستور
عنه وامله خادع له والشيطان موكل به يمنيه التوبة ليسوفها ويزين له
المعصية ليرتكبها حتى تهجم منيته عليه اغفل ما يكون عنها وانه ما بين احدكم
وبين الجنة والنار الا الموت ان ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة
ان يكون عمره عليه حجة وان ترديه ايامه الى شقوة جعلنا الله واياكم

ممن لا تبطره نعمة ولا تقصر به عن طاعة الله معصية ولا تحل به بعد الموت
حسرة انه سميع الدعاء وانه بيده الخير وانه فعال لما يشاء وقال بعض المفسرين
في قوله تعالى فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال
بالتوبة وارتبتم قال شككتم حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور
قال طول الامل ۞ وقال الحسن تصبروا وتشددوا فانما هي ايام قلائل وانما
انتم ركب وقوف يوشك ان يدعى الرجل منكم فيجيب ولا يلتفت فانتقلوا
بصالح ما بحضرتكم ۞ وقال ابن مسعود ما منكم من احد اصبح الا وهو ضيف
وماله عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة ۞ وقال ابو عبيدة
الناجي دخلت على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم واهلا
وحياكم الله بالسلام واحلنا واياكم دار المقام هذه علانية حسنة ان
صبرتم وصدقتم واتقيتم فلا يكون حظكم من هذا الخير رحمكم الله ان تسمعوه
بهذه الاذن وتخرجوه من هذه الاذن فانه من راى محمدا صلى الله عليه
فقد راه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولكن
رفع له علم فشمر اليه الوحا الوحا النجا النجا علام تعرجون اسيتم
ورب الكعبة كانكم والامر معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا
فاكل كسرة ولبس خلقا ولزق بالارض واجتهد في العبادة وبكى على الخطيئة
وهرب من العقوبة وابتغى الرحمة حتى ياتيه اجله وهو على ذلك ۞
وقال عاصم الاحول قال لي فضيل الرقاشي وانا اسايله يا هذا لا يشغلنك
كثرة الناس عن نفسك فان الامر يخلص اليك دونهم ولا تقل اذهب

ها هنا وها هنا فينقطع عنك النهار في لا شيء فان الامر محفوظ عليك
ولم تر شيا احسن طلبا ولا اسرع ادراكا من حسنة حديثة لذنب قديم ۞

الباب الثالث في سكرات الموت وشدته وما يستحب من الاحوال عند الموت

اعلم انه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى
سكرات الموت بمجردها لكان جديرا بان يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه
سروره ويفارقه سهوه وغفلته وحقيقا بان يطول فيه فكرته ويعظم له
استعداده لا سيما وهو في كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء كرب
بيد سواك لا تدري متى يغشاك ۞ وقال لقمان لابنه يا بني امر لا تدري
متى يلقاك استعد له قبل ان يفجاك ۞ والعجب ان الانسان لو كان في
اعظم اللذات واطيب مجالس اللهو فانتظر ان يدخل عليه جندي
فيضربه خمس خشبات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه وهو في
كل نفس بصدد ان يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل
فما لهذا سبب الا الجهل والغرور واعلم ان شدة الالم في سكرات الموت
لا يعرفها بالحقيقة الا من ذاقها ومن لم يذقها فانما يعرفها اما بالقياس
الى الالام التي ادركها واما بالاستدلال باحوال الناس في النزع على
شدة ما هم فيه فاما القياس الذي يشهد له ان كل عضو
لا روح فيه فلا يحس بالالم فاذا كان فيه الروح فالمدرك للالم هي الروح
فمهما اصاب العضو جرح او حريق سرى الاثر الى الروح فبقدر ما يسري

الى الروح بل المولم يتفرق على اللحم والدم وساير الاجزاء فلا يصيب الروح
الا بعض الالم فان كان في الالام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما اعظم
ذلك الالم وما اشده والنزع عبارة عن مولم نزل بنفس الروح فاستغرق
جميع اجزائه حتى لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا
وقد حل به الالم فلو اصابته شوكة فالالم الذي يجده انما يجري في جزء
من الروح يلاقي ذلك الموضع الذي اصابته الشوكة وانما يعظم اثر الاحتراق
لان اجزاء النار تغوص في ساير اجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق
ظاهرا وباطنا الا وتصيبه النار فتحسه الاجزاء الروحانية المنتشرة في ساير
اجزاء اللحم واما الجراحة فانما تصيب الموضع الذي مسه الحديد فقط
فلذلك كان الم الجرح دون الم النار فالم النزع يهجم على نفس الروح
ويستغرق جميع اجزائه فانه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق
وعصب من الاعصاب وجزء من الاجزاء ومفصل من المفاصل ومن اصل كل شعرة
وبشرة من الفرق الى القدم فلا تسل عن كربه والمه حتى قالوا ان الموت
اشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان قطع
البدن بالسيف انما يولم لتعلقه بالروح فكيف اذا كان المتناول المباشر
نفس الروح وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه
وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه لان الكرب قد بالغ فيه
وتصاعد على قلبه وغلب على كل موضع منه فهد كل قوة وضعف كل
جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة اما العقل فقد غشيه

وشوشه واما اللسان فقد ابكمه واما الاطراف فقد ضعفها
ويود لو قدر على الاستراحة بالانين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر
على ذلك فان بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خوارا
وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربد حتى كانه ظهر منه
التراب الذي هو اصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حياله
فالالم منتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان الى اعالي اجفانه
وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان الى اصله وترتفع الانثيان الى اعالي مو
ضعهما وتخضر انامله فلا تسل عن بدن يجذب منه كل عرق من عروقه
ولو كان المجذوب عرقا واحدا لكان المه عظيما فكيف والمجذوب نفس الروح
المتالم لا من عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضايه
تدريجا فتبرد اولا قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه ولكل عضو سكرة بعد
سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها الى الحلقوم فعند ذلك ينقطع نظره
عن الدنيا واهلها ويغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبل توبته ما لم يغرغر وقال مجاهد
في قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السيات حتى اذا حضر احدهم
الموت قال اني تبت الان قال اذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة
وجه ملك الموت فلا تسل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته
ولذلك كان صلى الله عليه يقول اللهم هون على محمد سكرات الموت
والناس انما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فان الاشيا

قبل وقوعها انما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الانبياء والاولياء
من الموت حتى قال عيسى يا معشر الحواريين ادعوا الله ان يهون علي هذه
السكرة يعني الموت فقد خفت الموت مخافة اوقفني خوفي من الموت
على الموت وروي ان نفرا من بني اسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم
لبعض لو دعوتم الله ان يخرج لكم من هذه المقبرة ميتا تسالونه فدعوا الله
تعالى فاذا هم برجل قد قام وبين عينيه اثر السجود قد خرج من قبر من المقابر
فقال يا قوم ما اردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين عاما ما سكنت مرارة
الموت من قلبي وقالت عايشة لا اغبط احدا يهون عليه الموت بعد الذي
رايت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وروي انه عليه السلام
كان يقول اللهم انك تاخذ الروح من بين القصب والعصب والانامل
اللهم فاعني على الموت وهونه علي وعن الحسن ان رسول الله صلى
ذكر الموت وغصته والمه فقال هو قدر ثلاث مائة ضربة بالسيف
وسيل عليه السلام عن الموت وشدته فقال ان اهون الموت بمنزلة
حسكة في صوف فهل تخرج الحسكة من الصوف الا ومعها صوف
ودخل عليه السلام على مريض ثم قال اني اعلم ما يلقى ما منه عرق الا
ويالم للموت على حدته وكان علي رضي الله عنه يحض على القتال ويقول
ان لم تقتلوا تموتوا والذي نفسي بيده لالف ضربة بالسيف اهون من موت
على فراش وقال الاوزاعي بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث
من قبره وقال شداد بن اوس الموت افظع هول في الدنيا والاخرة

على

على المومن وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور
ولو ان الميت نشر فاخبر اهل الدنيا بالم الموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم
وعن زيد بن اسلم عن ابيه قال اذا بقي على المومن من درجاته شي لم يبلغها
بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته في الجنة
واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا هون عليه في الموت ليستكمل
ثواب معروفه فيصير الى النار وعن بعضهم انه كان يسال كثيرا
عن المرضى كيف تجدون الموت فلما مرض قيل له فانت كيف تجده فقال كان
السموات مطبقة على الارض وكان نفسي يخرج من ثقب ابرة وقال
صلى الله عليه وسلم موت الفجاة راحة للمومن واسف على الفاجر وروي
عن مكحول عن النبي عليه السلام انه قال لو ان شعرة من شعر الميت وضعت
على اهل السموات والارض لماتوا باذن الله لان في كل شعرة الموت
ولا يقع الموت بشي الا مات ويروى لو ان قطرة من الم الموت وضعت
على جبال الارض كلها لذابت وروي ان ابرهيم عليه السلام لما مات
قال الله تعالى له كيف وجدت الموت يا خليلي فقال كسفود جعل
في صوف رطب ثم جذب فقال اما انا قد هونا عليك وروي عن
موسى عليه السلام انه لما قبضه الله قال له يا موسى كيف وجدت الموت
قال وجدت نفسي كالعصفور حين يقلى على المقلى لا يموت فيستريح
ولا ينجو وروي عنه انه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلخ بيد القصاب
وروي عن النبي صلى الله عليه انه كان عنده قدح من ماء عند الموت

فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات
الموت وفاطمة رضي الله عنها تقول واكرباه لكربك يا ابتاه وهو يقول لا كرب
على ابيك بعد اليوم وقال عمر رضي الله عنه لكعب الاحبار يا كعب حدثنا
عن الموت فقال نعم يا امير المومنين الموت كغصن كثير الشوك ادخل في
جوف رجل فاخذت كل شوكة بعرق ثم جذبه رجل شديد الجذب
فاخذ ما اخذ وابقى ما ابقى ٥ وقال عليه السلام ان العبد ليعالج كرب
الموت وسكرات الموت وان مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول
عليك السلام تفارقني وافارقك الى يوم القيامة ٥ فهذه سكرات الموت
على اوليا الله واحبابه فما حالنا ونحن المنهمكون في المعاصي ويتوالى علينا
مع سكرة الموت بقية الدواهي فان دواهي الموت ثلثة الاولى شدة
النزع كما ذكرناه ٥ الداهيـــــــــة الثانية مشاهدة
صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب فلو راى صورته
التي عليها يقبض روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة لم يطق رويته
فقد روي عن ابرهيم الخليل عليه السلام انه قال لملك الموت هل تستطيع
ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلى
قال فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو برجل اسود قايم
الشعر منتن الريح اسود الثياب يخرج من فيه ومناخره لهيب النار
والدخان فغشي على ابرهيم ثم افاق وقد عاد ملك الموت الى صورته
الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند موته الا صورة وجهك

لكان حسبه ٥ وروى ابو هريرة عن النبي عليه السلام ان داود كان رجلا
غيورا وكان اذا خرج غلق الابواب فاغلق ذات يوم وخرج فاشرفت
امراته فاذا هي برجل في الدار فقالت من ادخل هذا الرجل لين جا
داود ليلقين منه عنتا فجا داود فراه فقال من انت قال انا الذي لا
اهاب الملوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فانت والله اذا ملك الموت
وزمل داود عليه السلام مكانه ٥ وروي ان عيسى عليه السلام مر بجمجمة
فضربها برجله فقال تكلمي باذن الله فقالت يا روح الله انا ملك
زمان كذا وكذا بينا انا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنودي وحشمي
على سرير ملكي اذ بدا الي ملك الموت فزال مني كل عضو على حياله ثم
خرجت نفسي اليه فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة ويا ليت
ما كان من ذلك الانس كان وحشة فهذه داهية يلقاها العصاة
ويكفاها المطيعون فقد حكى الانبيا مجرد سكرة النزع دون الروعة
التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو راها في منامه
ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برويته على تلك الحال واما
المطيع فانه يراه في احسن صورة واجملها فقد روى عكرمة عن
ابن عباس ان ابرهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعبد
فيه فاذا خرج اغلقه فرجع ذات يوم فاذا برجل في جوف البيت
فقال من ادخلك داري فقال ادخلنيها ربها فقال انا ربها فقال
ادخلنيها من هو املك بها مني ومنك فقال فمن انت من الملايكة

فقال انا ملك الموت قال هل تستطيع ان تريني الصورة التي تقبض فيها روح
المومن قال نعم فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فاذا هو بشاب فذكر من
حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المومن
عند الموت الا صورتك كان حسبه ٥ ومنهـــــــا مشاهدة الملكين الحا
فظين قال وهيب بلغنا انه ما من ميت يموت حتى يترايا له ملكاه الكاتبين
عمله فان كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا فرب مجلس صدق
اجلستنا وعمل صالح احضرتنا وان كان فاجرا قالا له لا جزاك الله عنا خيرا
فرب مجلس سو قد اجلستنا وعمل غير صالح قد احضرتنا وكلام قبيح قد
اسمعتنا فلا جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما
ولا يرجع الى الدنيا ابدا ٥ الداهيـــــــة الثالثة مشاهدة العصاة
مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة فانهم في حال السكرات
وقد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج ارواحهم ولن تخرج ارواحهم
ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت باحدى البشريين اما ابشر يا عدو الله
بالنار او ابشر يا ولي الله بالجنة وعن هذا كان خوف ارباب الالباب
وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم
اين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة او النار وقال صلى الله
عليه وسلم من احب لقا الله احب الله لقاه ومن كره لقا الله كره
الله لقاه فقالوا كلنا نكره الموت قال ليس ذاك بذاك ان المومن
اذا فرج له عما هو قادم عليه احب لقا الله واحب الله لقاه وروي

ان حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من اخر الليل قم فانظر
اي ساعة هي فقام ابن مسعود ثم جاه فقال قد طلعت الحمرا فقال
حذيفة اعوذ بالله من صباح الى النار ٥ ودخل مروان على ابي هريرة
فقال مروان اللهم خفف عنه فقال ابو هريرة اللهم اشدد
ثم بكى ابو هريرة وقال والله ما ابكي حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم
ولكني انتظر احدى البشريين من ربي بجنة ام بنار ٥ وروي في الحديث
عن النبي عليه السلام انه قال ان الله اذا رضي عن عبد قال يا ملك الموت
اذهب الى فلان فاتني بروحه لاريحه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته
حيث احب فينزل ملك الموت ومعه خمسماية من الملايكة معهم قضبان
الريحان واصول الزعفران كل واحد منهم يبشر ببشارة صاحبه
وتقوم الملايكة صفين لخروج روحه معهم الريحان فاذا نظر اليهم
ابليس وضع يده على راسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده ما لك
يا سيدنا فيقول اما ترون ما اعطي هذا العبد من الكرامة اين كنتم
عن هذا قالوا قد جهدنا به فكان معصوما ٥ وقال الحسن
لا راحة للمومن الا في لقا الله ومن كانت راحته في لقا الله تعالى
فيوم الموت يوم سروره وفرحه وامنه وعزه وشرفه ٥ وقيل
لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة الى الحسن فلما دخل
عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرفع طرفه اليه ثم قال يا اخوتاه
الساعة والله افارقكم الى النار او الى الجنة ٥ وقال محمد بن واسع

عند الموت يا اخوتاه عليكما السلام الى النار او يعفو الله ❊ وتمنى بعضهم
ان يبقى في النزع ابدا ولا يبعث لثواب ولا لعقاب ❊ فخوف سوء الخاتمة
قطع قلوب العارفين وهي من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا
معنى سوء الخاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجا
وهو لايق بهذا الموضع ولكنا لا نطول بذكره واعادته ❊

بيان ما يستحب من احوال المحتضر عند الموت

اعلم ان المحبوب عند الموت من صورة المحتضر ان يكون هو الهدو والسكون
ومن لسانه ان يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه ان يكون حسن الظن بالله
تعالى اما الصورة فقد روي عن النبي صلى الله عليه انه
قال ارقبوا الميت عند ثلاث اذا رشح جبينه وذرفت عيناه ويبست
شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به واذا غط غطيط المخنوق
واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به ❊ فاما
انطلاق لسانه بكلمتي الشهادة فهي علامة الخير قال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقنوا موتاكم لا اله الا الله وفي
رواية حذيفة فانها تهدم ما قبلها من الخطايا وقال عثمن رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله
دخل الجنة وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمن اذا احتضر
الميت فلقنوه لا اله الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته
الا كانت زاده الى الجنة وقال عمر رضي الله عنه احضروا

موتاكم وذكروهم فانهم يرون ما لا ترون ولقنوهم لا اله الا الله وقال
ابو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول حضر ملك الموت
رجلا يموت فنظر في قلبه فلم يجد فيه شيا ففك لحييه فوجد طرف
لسانه لاصقا بحنكه يقول لا اله الا الله فغفر له بكلمة الاخلاص
وينبغي للملقن ان لا يلح في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطلق لسان
المريض فيشق ذلك عليه ويودي الى استثقاله التلقين وكراهيته للكلمة
ويخشى ان يكون ذلك سبب سوء الخاتمة وانما معنى هذه الكلمة ان
يموت الرجل وليس في قلبه غير الله تعالى فاذا لم يبق له مطلوب سوى
الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعيم في حقه وان
كان القلب مشغوفا بالدنيا ملتفتا اليها متاسفا على لذاتها وكانت
الكلمة على راس اللسان ولم ينطو القلب على تحقيقها وقع الامر في
خطر المشية فان مجرد حركة اللسان قليل الجدوى الا ان يتفضل الله
بالقبول ❊ واما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت
وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجا وقد وردت الاخبار بفضل حسن الظن
دخل واثلة بن الاسقع على مريض فقال اخبرني كيف ظنك بالله فقال
اغرقتني ذنوب لي واشفيت على هلكة ولكني ارجو رحمة الله
فكبر واثلة وكبر اهل البيت لتكبيره فقال الله اكبر سمعت رسول الله
عليه السلام يقول قال الله تعالى انا عند ظن عبدي بي فليظن بي
ما شاء ❊ ودخل النبي عليه السلام على شاب وهو يموت فقال كيف

تجدك فقال ارجو الله واخاف ذنوبي فقال صلى الله عليه لا اجتمعا
في قلب عبد في مثل هذا الموطن الا اعطاه الله تعالى الذي يرجوا وامنه
من الذي يخاف ❊ وقال ثابت البناني كان شاب به حدة وكانت امه
تعظه كثيرا وتقول يا بني ان لك يوما فاذكر يومك فلما نزل به امر الله
تعالى اكبت عليه امه فجعلت تقول يا بني قد كنت احذرك مصرعك
هذا واقول ان لك يوما فقال يا امه ان لي ربا كثير المعروف واني لارجوا
ان لا يعدمني اليوم بعض معروفه قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه به ❊
وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهق فاحتضر فقالت له امه
يا بني توصي بشي قال نعم خاتمي لا تسلبينه فان فيه ذكر الله فلعل
الله يرحمني فلما دفن رءي في المنام فقال اخبروا امي ان الكلمة
قد نفعتني وان الله قد غفر لي ❊ ومرض اعرابي فقيل له انك تموت
قال اين يذهب بي قالوا الى الله قال فما كراهتي ان اذهب الى من لا يرى
الخير الا منه ❊ وقال المعتمر بن سليمان قال ابي حين حضرته الوفاة
يا معتمر حدثني بالرخص لعلي القى الله وانا حسن الظن به ❊ وكانوا
يستحبون ان يذكر العبد محاسن عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه ❊

بيان الحسرة عند لقا ملك الموت بحكايات يعرب بلسان الحال عنها

قال اشعث بن اسلم سال ابرهيم عليه السلام ملك الموت واسمه عزرايل
وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يا ملك الموت ما تصنع

وانشا يقول

تروعنا الجنايز مقبلات ونلهو حين تذهب مدبرات
كروعة ثلة لمغار ذيب فلما غاب عادت راتعات

من اداب حضور الجنازة التفكر والتنبه
والاستعداد والمشي امامها على هيئة التواضع كما ذكرنا ادابه وسننه
في فن الفقه ومن ادابه حسن الظن بالميت وان كان فاسقا واساءة
الظن بالنفس وان كان ظاهرها الصلاح فان الخاتمة مخطرة لا يدرى
حقيقتها ولذلك روي عن عمر بن ذر انه مات واحد من جيرانه
وكان مسرفا على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته فحضرها هو
وصلى عليها فلما دلي في قبره وقف على قبره وقال يرحمك الله يا ابا فلان
فلقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وان قالوا مذنب
وذو خطايا فمن منا غير مذنب وغير ذي خطايا ❊ ويحكى ان رجلا
من المنهمكين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم تجد امراته
من يعينها على حمل جنازته اذ لم يدر بها احد من جيرانه لكثرة فسقه
فاستاجرت حمالين وحملتها الى المصلى فما صلى عليه احد فحملتها الى
الصحرا للدفن وكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار
فراوه كالمنتظر للجنازة ثم قصد ان يصلي عليه فانتشر الخبر في البلد
بان الزاهد نزل ليصلي على فلان فخرج اهل البلد فصلى الزاهد
وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قيل لي في المنام

انزل الى مكان كذى ترى فيه جنازة ليس معها الا امراة فصل عليه فانه
مغفور له فزاد تعجب الناس فاستدعى الزاهد امراته وسالها عن حاله
وانه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في الماخور مشغولا
بشرب الخمر فقال انظري هل تعرفين منه شيا من اعمال الخير قالت نعم
ثلثة كان كل يوم يفيق عن سكره وقت الصبح فيبدل ثيابه ويتوضا
ويصلي الصبح في جماعة ثم يعود الى الماخور ويشتغل بالفسق والثاني
انه كان لا يخلو بيته ابدا عن يتيم او يتيمين وكان احسانه اليهم اكثر من احسانه
الى اولاده وكان شديد الشفقة لهم والثالث انه كان يفيق في اثنا
سكره في ظلام الليل فيبكي ويقول يا رب اي زاوية من زوايا جهنم
تريد ان تملاها بهذا الخبيث ويعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع
اشكاله من امره ❊ وعن صلة بن اشيم وقد دفن اخ له فقال على قبره
فان تنج منها تنج من ذي عظيمة والا فاني لا اخالك ناجيا ❊

بيان حال القبر واقاويلهم عند القبور

قال الضحاك قال رجل يا رسول الله من ازهد الناس قال من لم ينس القبر
والبلى وترك فضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا
من ايامه وعد نفسه من اهل القبور ❊ وقيل لعلي ما شانك جاورت
المقبرة فقال اني اجدهم خير جيران اني اجدهم جيران صدق يكفون
الالسنة ويذكرون الاخرة وقال رسول الله صلى الله عليه ما رايت
منظرا الا والقبر افظع منه ❊ وقال عمر بن الخطاب خرجنا مع رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم الى المقابر فجلس الى قبر وكنت ادنى القوم منه فبكى
وبكيت وبكوا فقال ما يبكيكم قلنا بكينا لبكائك قال هذا قبر امي امنه
بنت وهب استاذنت ربي في زيارتها فاذن لي فاستاذنته في ان استغفر لها
فابى علي فادركني ما يدرك الولد من الرقة ❊ وكان عثمن بن عفان اذا وقف
على قبر بكى حتى يبل لحيته فسئل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار
فلا تبكي وتبكي اذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه
يقول ان القبر اول منزل من منازل الاخرة فان نجا منه صاحبه فما بعده
ايسر منه وان لم ينج منه فما بعده اشد ❊ وقيل ان عمرو بن العاص نظر
الى المقبرة فنزل وصلى ركعتين فقيل له هذا شي لم تكن تصنعه
فقال ذكرت اهل القبور وما حيل بينهم وبينه فاحببت ان اتقرب
الى الله بهما ❊ وقال مجاهد اول ما تكلم ابن ادم حفرته فيقول
انا بيت الدود وبيت الوحدة وبيت الغربة وبيت الظلمة هذا
ما اعددت لك فماذا اعددت لي ❊ وقال ابو ذر الا اخبركم بيوم
فقري يوم اوضع في قبري ❊ وكان ابو الدردا يقعد الى القبور
فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت
لم يغتابوني ❊ وكان جعفر بن محمد ياتي القبور ليلا ويقول يا اهل
القبور ما لي اذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين
جوابي وكاني اكون مثلهم ثم يستقبل الصلاة الى طلوع الفجر ❊
وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد ارقت الليلة

اتفكر في القبر وساكنه انك لو رايت الميت بعد ثالثة في قبره لاستوحشت
من قربه بعد طول الانس منك به ولرايت بيتا تجول فيه الهوام ويجري فيه
الصديد وتخترقه الديدان مع تغير الريح وبلي الاكفان بعد حسن الهيئة
وطيب الريح ونقا الثوب قال ثم شهق شهقة خر مغشيا عليه ❊ وكان يزيد الرقاشي
يقول ايها المقبور في حفرته والمتخلي في القبر بوحدته المستانس في بطن الارض
باعماله ليت شعري باي اعمالك استبشرت وباي اخوانك اغتبطت
ثم يبكي حتى يبل لحيته ثم يقول استبشر والله باعماله الصالحة واغتبط
والله باخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى ❊ وكان اذا نظر الى القبور
خار كما يخور الثور ❊ وقال حاتم الاصم من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه
ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم ❊ وكان بكر العابد يقول يا اماه ليتك
كنت بي عقيما ان لابنك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رحلة
وقال يحيى بن معاذ يا ابن ادم دعاك ربك الى دار السلام فانظر من اين
تجيبه ان اجبته من دنياك فاشتغلت بالرحلة اليه دخلتها وان اجبته
من قبرك منعتها ❊ وكان الحسن بن صالح اذا اشرف على المقابر يقول
ما احسن ظواهرك انما الدواهي في بواطنك ❊ وكان عطا السلمي اذا
جن عليه الليل خرج الى المقبرة فوقف ثم يقول يا اهل القبور متم
فيا موتاه وعاينتم اعمالكم فوا عملاه ثم يقول غدا عطا في القبر غدا عطا
في القبر فلا يزال ذلك دابه حتى يصبح ❊ وقال سفين من اكثر ذكر
القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عنه وجده حفرة

من حفر النار ❊ وكان الربيع بن خثيم قد احتفر في داره قبرا فكان اذا وجد
في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ما شا الله ثم يقول رب ارجعون
لعلي اعمل صالحا فيما تركت يرددها ثم يرد على نفسه يا ربيع قد رجعتك
فاعمل ❊ وقال احمد بن حرب تتعجب الارض من رجل يمهد مضجعه ويسوي
فراشه للنوم فتقول يا ابن ادم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شي ❊
وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز الى المقبرة فلما نظر
الى القبور بكى ثم اقبل علي فقال يا ميمون هذه قبور ابائي بني امية
كانهم لم يشاركوا اهل الدنيا في لذاتهم وعيشهم اما تراهم صرعى قد
حلت بهم المثلات واستحكم فيهم البلا واصابت الهوام مقيلا في
ابدانهم ثم بكى فقال والله ما اعلم احدا انعم ممن صار الى هذه القبور
وقد امن من عذاب الله ❊ وقال ثابت البناني دخلت المقابر فلما اردت
الخروج منها فاذا بصوت قايل يقول يا ثابت لا يغرنك صموت اهلها
فكم من نفس مغمومة فيها ❊ ويروى ان فاطمة بنت الحسن نظرت الى جنازة
زوجها الحسن بن الحسين فغطت وجهها وقالت

وكانوا رجاء ثم امسوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل انها ضربت على قبره فسطاطا واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة
قلعوا الفسطاط ودخلوا المدينة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل
وجدوا ما فقدوا فسمعوا من جانب الاخر بل يئسوا فانقلبوا ❊
وقال ابو موسى التيمي توفيت امراة الفرزدق فخرج في جنازتها

وجوه أهل البصرة وفيهم الحسن فقال له يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم
فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة فلما دفنت أنشأ الفرزدق
على قبرها فقال

أخاف وراء القبر إن لم تعافني أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور

قف بالقبور وقل على ساحاتها من منكم المغمور في ظلماتها
ومن المكرم منكم في قعرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذي العيون فواحد لا يستبين الفضل في درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل في روضة يفضي إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرم الطاغي بها متقلب في حفرة يأوي إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهو تقول

عدمت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألحدوكا
فكيف أذوق طعم الكرى وأنت بيمناك قد وسدوكا

ثم قال يا أبتاه ليت شعري بأي خديك بدأ الدود فصعق داود
مكانه وخر مغشيا عليه وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة

وانشا

فأنشأت تقول

أتيت القبور فناديتهن أين المعظم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه وأين المزكى إذا ما افتخر

قال فنوديت من بينهن أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول

تفانوا جميعا فما مخبر وماتوا جميعا ومات الخبر
تروح وتغدو بنات الثرى وتمحو محاسن تلك الصور
فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فيما ترى معتبر

قال فرجعت وأنا أبكي

أبيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد على قبر مكتوب

تناجيك أجداث وهن صموت وسكانها تحت التراب خفوت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغه لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

وعلى قبر آخر

أيا غانم أما ذراك فواسع وقبرك معمور الجوانب محكم
وما ينفع المقبور عمران قبره إذا كان فيه جسمه يتهدم

وقال ابن السماك مررت بالمقابر فإذا على قبر مكتوب

يمر أقاربي جنبات قبري كأن أقاربي لم يعرفوني
وذوا الميراث يقتسمون مالي وما يألون أن جحدوا ديوني
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا
فيا لله أسرع ما نسوني

ووجد على قبر مكتوب

إن الحبيب من الأحباب مختلس لا يحجب الموت بواب ولا حرس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها يا من يعد عليه اللفظ والنفس
أصبحت يا غافلا في النقص منغمسا وأنت دهرك في اللذات منغمس
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته ولا الذي كان منه العلم يقتبس
كم أخرس الموت في قبر وقفت به عن الجواب لسانا ما به خرس
قد كان قصرك معمورا له شرف فقبرك اليوم في الأجداث مندرس

ووجد على قبر آخر مكتوب

وقفت على الأحبة حين صفت قبورهم كأفراس الرهان
فلما أن بكيت وفاض دمعي رأت عيناي بينهم مكاني

ووجد على قبر طبيب مكتوب

قد قلت لما قال لي قائل قد صار لقمان إلى رمسه
فأين ما يوصف من طبه وحذقه في الماء مع جسه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه

ووجد على قبر آخر مكتوب

يا أيها الناس كان لي أمل قصر بي عن بلوغه الأجل
فليتق الله ربه رجل أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى كل إلى مثله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على القبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت

والبصير

والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد
للحوق بهم ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق أنه
لو عرض عليهم يوم واحد من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب
إليهم من الدنيا بحذافيرها لأنهم عرفوا قدر الأعمال وانكشفت لهم حقائق الأمور
فإنما حسرتهم يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره فيتخلص عن العقاب
وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب فإنهم إنما عرفوا قدر العمر
بعد انقطاعه فحسرتهم في ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة
ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها فوطن نفسك على التحسر على
تضييعها عند خروج الأمر عن الاختيار إن لم تأخذ نصيبك من ساعتك
على سبيل الابتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخا لي في الله فيما
يرى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين فقال لأن أقدر
على أن أقولها أي الحمد لله أحب إلي من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر
حيث كانوا يدفنونني فإن فلانا قام وصلى ركعتين لأن أكون أقدر على أن
أصليهما أحب إلي من الدنيا وما فيها

بيان أقاويلهم عند موت الولد

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن ينزله في تقدمه عليه في الموت
منزلة ما لو كانا أن ينزله في تقدمه في سفر فسبقه ولده إلى البلد الذي
هو مستقره ووطنه فإنه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه بأنه لاحق به على
القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فإن معناه السبق

الى الوطن الى ان يلحق المتاخر فاذا اعتقد هذا قل جزعه وحزنه لا سيما
وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يوزى به كل مصاب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الى من ان اخلف مائة فارس
كلهم يقاتل في سبيل الله وانما ذكر السقط تنبيها بالادنى على الاعلى والا
فالثواب على قدر محل الولد من القلب قال زيد بن اسلم توفي ابن لداود
عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقيل له ما كان عدله عندك فقال
ملء الارض ذهبا قيل له فان لك من الاجر مثل ذلك ه وقال رسول الله صلعم
لا يموت لاحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحتسبهم الا كانوا له جنة
من النار فقالت امراة عند رسول الله او اثنان قال او اثنان ه
وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه رجا دعاء واقربه الى الاستجابة
ووقف محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم اني اصبحت ارجوك له
واخافك عليه فحقق رجائي وامن خوفي ه ووقف ابو سنان على قبر ابنه
فقال اللهم اني قد غفرت له ما وجب لي عليه فاغفر له ما وجب لك عليه
فانك اجود واكرم ه ووقف اعرابي على قبر ابنه فقال اللهم اني قد وهبت
له ما قصر فيه من بري فهب له ما قصر فيه من طاعتك ه ولما مات ذر
بن عمر بن ذر قام ابوه عمر بن ذر بعد ما وضع في لحده فقال يا ذر لقد
شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا
قيل لك ثم قال اللهم هذا ذر متعتني به ما متعتني ووفيته
اجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت الزمته طاعتك وطاعتي

اللهم وما وعدتني عليه من الاجر في مصيبتي فقد وهبت له ذلك فهب
لي عذابه ولا تعذبه ه فابكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك
من خصاصة يا ذر وما بنا الى احد مع الله حاجة فلقد مضينا وتركناك
ولو اقمنا ما نفعناك ه ونظر رجل الى امراة بالبصرة فقال ما رايت مثل
هذه النضارة وما ذاك الا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله اني لفي حزن
ما يشركني فيه احد قلت وكيف قالت ان زوجي ذبح شاة في يوم
الاضحى وكان لي صبيان مليحان يلعبان فقال اكبرهما للاخر اتريد ان
اريك كيف ذبح ابي الشاة قال نعم فاخذه فذبحه فما شعرنا به الا متشحطا
في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجا الى جبل فرهقه ذئب
فاكله فخرج ابوه يطلبه فمات عطشا من شدة الحر قالت فافردني
الدهر كما ترى ه فامثال هذه المصايب ينبغي ان يتذكر عند موت الاولاد
ليتسلى بها عن شدة الجزع فما من مصيبة الا ويتصور ما هو اعظم منها
وما يدفعه الله في كل حال فهو الاكثر ه

بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين
مستحبة محبوبة لاجل التبرك مع الاعتبار وقد كان رسول الله صلعم
نهى عن زيارة القبور ثم اذن في ذلك بعده وقد روي عن علي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها
فان في زيارتها تذكرة للاخرة غير ان لا تقولوا هجرا ه وزار رسول الله

رايت عاصما في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى
قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي
نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلاقى اخباركم
فقلت اجسامكم ام ارواحكم فقال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى
الارواح قال فقلت فهل تعلمون بزيارتنا لكم قال نعلم بها عشية الجمعة
ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قلت وكيف ذاك دون
الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه وكان محمد بن واسع يزور يوم
الجمعة فقيل لو اخرت الى الاثنين فقال بلغني ان الموتى يعلمون
بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده ه وقال الضحاك من
زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته قيل له وكيف
ذلك قال لمكان يوم الجمعة ه وقال بشر بن منصور لما كان
زمن الطاعون كان رجل يختلف الى الجبان فيشهد الصلاة على
الجنايز فاذا امسى وقف على باب المقابر فقال انس الله وحشتكم
ورحم الله غربتكم وتجاوز عن سياتكم وقبل الله حسناتكم لا يزيد
على هذه الكلمات قال الرجل فامسيت ذات ليلة فانصرفت الى
اهلي ولم ات المقابر فادعو كما كنت ادعو فبينا انا نايم اذا انا بخلق
كثير قد جاؤوني فقلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن اهل المقابر
قلت ما جاء بكم قالوا انك كنت عودتنا منك هدية عند انصرافك
الى اهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا قلت فاني

اعود لذلك فما تركتها بعد ذلك ه وقال بشار بن غالب النجراني رايت
رابعة العدوية في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار بن غالب
هداياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذاك
قالت وهكذا دعاء المؤمنين الاحياء اذا دعوا للموتى فاستجيب لهم جعل ذلك
الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتى به الميت فقيل هذه
هدية فلان اليك ه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الميت في
قبره الا كالغريق المتغوث ينتظر دعوة تلحقه من ابيه او اخيه
او صديق له فاذا لحقته كانت احب اليه من الدنيا وما فيها وان هدايا
الاحياء للاموات الدعاء والاستغفار ه وقال بعضهم مات اخ لي
فرايته في المنام فقلت ما كان حالك حين وضعت في قبرك قال
اتاني ات بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرايت انه سيضربني
وعن هذا يستحب تلقين الميت بعد الدفن والدعاء له قال
سعيد بن عبد الله الاودي شهدت ابا امامة الباهلي وهو في النزع
فقال يا سعيد اذا مت فاصنعوا بي كما امرنا رسول الله عليه السلام
فقال اذا مات احدكم فسويتم عليه التراب فليقم احدكم على راس
قبره ثم يقول يا فلان بن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يا
فلان بن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقل يا فلان بن فلانة
فانه يقول ارشدنا يرحمك الله ولكن لا تشعرون فيقول له
اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا

رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه نبيا
وبالقران اماما فان منكرا ونكيرا ياخذ كل واحد منهما فيقول انطلق
بنا ما يقعدنا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله تعالى حجيجه
دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم تعرف اسم امه قال فلينسبه الى حواء
ولا باس بقراة القران على القبور عن علي بن موسى الحداد قال كنت مع
احمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري معنا فلما دفن الميت
جاء رجل ضرير يقرا عند القبر فقال له احمد يا هذا ان القراة على القبر
بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد يا ابا عبد الله ما تقول
في مبشر بن اسمعيل فقال ثقة قال هل كتبت عنه شيا قال نعم قال اخبرني
مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلا بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى
اذا دفن ان يقرا عند راسه بفاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت
ابن عمر يوصي بذلك فقال له احمد فارجع الى الرجل فقل له يقرا
وقال محمد بن احمد المروروذي سمعت احمد يقول اذا دخلتم
المقابر فاقروا بفاتحة الكتاب والمعوذتين وقل هو الله احد واجعلوا
ثواب ذلك لاهل المقابر فانه يصل اليهم وقال ابو قلابة اقبلت
من الشام الى البصرة فنزلت الخندق فتطهرت وصليت ركعتين
بليل ثم وضعت راسي على قبر فنمت فاذا صاحب القبر يشتكيني
يقول لقد اذيتني منذ الليلة ثم قال انكم لا تعلمون وتقدرون على العمل
ليس يع الاصل ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال للركعتين اللتين

ركعتهما

ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزا الله اهل الدنيا عنا خيرا اقرهم
السلام فانه قد يدخل علينا من دعايهم نور امثال الجبال هو المقصود
من زيارة القبور للزاير الاعتبار وللمزور الانتفاع بدعايه فلا ينبغي
ان يغفل الزاير عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وانما يحصل
له الاعتبار بان يصور في قلبه الميت كيف تفرقت اجزاوه وكيف يبعث
من قبره وانه على القرب سيلحق به كما روي عن مطرف بن ابي بكر الهذلي
قال كانت عجوز في عبد القيس متعبدة فكان اذا اتى الليل تحزمت
ثم قامت الى المحراب واذا جاء النهار خرجت الى القبور فبلغني انها عوتبت
في كثرة اتيانها المقابر فقالت ان القلب القاسي اذا جفا لم يلينه الا رسوم
البلى واني لاتي القبور فكاني انظر وقد خرجوا من بين اطباقها وكاني
انظر الى تلك الوجوه المتعفرة والى تلك الاجسام المتغيرة والى تلك
الاكفان الدسمة فيا لها من نظرة لو اشربها العباد قلوبهم ما انكل مرارتها
للانفس واشد تلفها للابدان هو بل ينبغي ان يحضر صورة الميت
ما ذكر عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورته
لكثرة الجهد في العبادة فقال له يا فلان لو رايتني بعد ثالثة
في قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين وتقلصت
الشفتان على الاسنان وخرج الصديد من الفم وانفتح الفم ونتا
البطن فعلا على الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود
والصديد من المناخر لرايت اعجب مما رايته الان هو ويستحب

ايضا الثنا على الميت وان لا يذكر الا بالجميل قالت عايشة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا مات صاحبكم فدعوه ولا تقعوا فيه وقال صلى
لا تسبوا الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا وقال صلى الله عليه وسلم
لا تذكروا موتاكم الا بخير فانهم ان يكونوا من اهل الجنة تاثموا وان يكونوا
من اهل النار فحسبهم ما هم فيه وقال انس بن مالك مرت جنازة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاثنوا عليه شرا فقال عليه السلام
وجبت ومروا باخرى فاثنوا خيرا فقال وجبت فسال له عمر عن ذلك فقال
ان هذا اثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا اثنيتم عليه شرا
فوجبت له النار وانتم شهدا الله في الارض وقال ابو هريرة قال
النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليموت فيثني عليه القوم الثنا يعلم
الله منه غيره فيقول الله تعالى لملايكته اشهدكم اني قبلت شهادة
عبيدي على عبدي وتجاوزت عن علمي في عبدي هو

الباب السابع في حقيقة الموت وما يلقاه الميت في القبر الى نفخة الصور

بيان حقيقة الموت

اعلم ان للناس في حقيقة الموت ظنونا كاذبة قد اخطاوا فيها فظن
بعضهم ان الموت هو العدم وانه لا حشر ولا نشر ولا عاقبة للخير والشر
وان موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا راي الملحدة
وكل من لا يومن بالله واليوم الاخر هو وظن قوم انه ينعدم بالموت

ولا يتالم

ولا يتالم بعقاب ولا يتنعم بثواب ما دام في القبر الى ان يعاد في وقت الحشر
وقال اخرون ان الروح باقية لا تنعدم بالموت وانما المثاب والمعاقب
هي الارواح دون الاجساد وان الاجساد لا تبعث ولا تحشر اصلا هو وكل
هذه الظنون فاسدة ومايلة عن الحق بل الذي شهدت له طرق الاعتبار
ونطقت به الايات والاخبار ان الموت معناه تغير حال فقط وان الروح
باقية بعد مفارقة الجسد اما معذبة واما منعمة ومعنى مفارقتها
للجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فان الاعضا
الات للروح تستعملها حتى انها لتبطش باليد وتسمع بالاذن وتبصر
بالعين وتعلم حقيقة الاشيا بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح
فالروح تعلم الاشيا بنفسها من غير الة وكذلك قد يتالم بنفسه بانواع
الحزن والغم والكمد ويتنعم بانواع الفرح والسرور وكل ذلك
لا يتعلق بالاعضا فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها
بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الاعضا فيتعطل بموت
الجسد الى ان تعاد الروح الى الجسد ولا يبعد ان تعاد الى الجسد
في القبر ولا يبعد ان توخر الى يوم البعث والله اعلم بما حكم به
على كل عبد من عباده وانما تعطل الجسد بالموت يضاهي تعطل
اعضا الزمن بفساد مزاج يقع فيه وبسدة تقع في الاعصاب
تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالمة العاقلة المدركة
باقية مستعملة لبعض الاعضا وقد استعصى عليها بعضها

والموت عبارة عن استعصاء الاعضا كلها وكل الاعضا الات فالروح هي
المستعملة لها واعني بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم
والغموم ولذات الافراح ومهما بطل تصرفها في الاعضا لم يبطل منها العلوم
والادراكات ولا يبطل منها الافراح والغموم ولا يبطل منها قبولها الالام
واللذات والانسان بالحقيقة هو المعنى المدرك للعلوم والالام واللذات
وذلك لا يموت اي لا ينعدم ومعنى الموت انقطاع تصرفه عن البدن
وخروج البدن عن ان يكون له الة كما ان معنى الزمانة خروج اليد عن
ان تكون الة مستعملة فالموت زمانة مطلقة في الاعضا كلها وحقيقة
الانسان نفسه وروحه وهي باقية نعم تغير حاله من جهتين احداهما
انه سلب منه عينه واذنه ولسانه ويده ورجله وجميع اعضايه وسلب
منه اهله وولده واقاربه وساير معارفه وسلب منه خيله ودوابه
وغلمانه ودوره وعقاره وساير املاكه ولا فرق بين ان تسلب هذه
الاشيا من الانسان وبين ان يسلب الانسان من هذه الاشيا فان المولم
هو الفراق والفراق يحصل تارة بان ينهب مال الرجل وتارة بان يسبى
الرجل عن المال والالم واحد في الحالتين وانما معنى الموت سلب الانسان
عن امواله بازعاجه الى عالم اخر لا يناسب هذا العالم فان كان له في الدنيا
شي يانس به ويستريح اليه ويعتد بوجوده فيعظم تحسره عليه
بعد الموت ويتضاعف شقاوه في مفارقته بل يلتفت قلبه الى واحد
واحد من ماله وجاهه وعقاره حتى الى قميص كان يلبسه مثلا

ويفرح

ويفرح به ولو لم يكن يفرح الا بذكر الله ولم يانس الا بالله عظم نعيمه وتمت
سعادته اذ خلي بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوايق والشواغل
اذ جميع اسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله فهذا احد وجهي المخالفة
بين حال الموت وحال الحيوة والثاني انه ينكشف له بالموت
ما لم يكن مكشوفا له في الحيوة كما ينكشف للمستيقظ ما لم يكن مكشوفا
في النوم والناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا واول ما ينكشف له ما يضره وينفعه
من حسناته وسيااته وقد كان ذلك مسطورا في كتاب مطوي في سر
غل قلبه وكان يشغله عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فاذا انقطعت الشواغل
انكشف له جميع اعماله فلا ينظر الى سيية الا ويتحسر عليها تحسرا يوثر
ان يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له اقرا
كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وينكشف كل ذلك عند
انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتعل فيه نيران الفراق اعني
فراق ما كان يطمين اليه من هذه الدنيا الفانية دون ما اراد منها لاجل
الزاد والبلغة فان من طلب الزاد للبلغة فاذا بلغ المقصد فرح
بمفارقته بقية الزاد اذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم ياخذ
من الدنيا الا قدر الضرورة وكان يود ان تنقطع ضرورته ليستغني
عنه فقد حصل منه ما كان يوده واستغنى عنه فهذه انواع
من العذاب والالام عظيمة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن
قد ترد روحه الى الجسد لنوع اخر من العذاب وقد يعفى عنه

ويكون حال المتنعم بالدنيا المطمين اليها كحال من تنعم عند غيبة ملك
من الملوك في داره وملكه وحريمه اعتمادا على ان الملك يتساهل في امره
او على ان الملك ليس يدري ما يتعاطاه من قبيح افعاله فاخذه الملك
بغتة وعرض عليه جريدة قد دونت فيها جميع فواحشه وجناياته
ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغيور على حرمه
ومنتقم من الجناة على ملكه وغير ملتفت الى من يتشفع اليه في العصاة
عليه فانظر الى حال هذا الماخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب
الملك به من الخوف والخجلة والحيا والتحسر والندم فهذا
حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمين اليها قبل نزول عذاب
القبر به بل عند موته نعوذ بالله منه فان الخزي والافتضاح وهتك
الستر اعظم من كل عذاب يحل بالجسم من الضرب والقطع وغيرهما
فهذه اشارة الى حال الميت عند الموت شاهدها ذوو البصاير بمشاهدة
باطنة اقوى من مشاهدة العين ويشهد لذلك شواهد الكتاب
والسنة نعم لا يمكن كشف الغطا عن كنه حقيقة الموت اذ لا يعرف
الموت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحيوة بمعرفة حقيقة الروح
في نفسها وادراك ماهية ذاتها ولم يوذن لرسول الله صلى الله عليه
ان يتكلم فيها ولا ان يزيد على ان يقول قل الروح من امر ربي فليس
لاحد من علما الدين ان يكشف عن سر الروح وان اطلع عليه وانما الماذون
فيه ذكر حال الروح بعد الموت ويدل على ان الموت ليس عبارة عن

انعدام الروح وانعدام ادراكها ايات واخبار كثيرة
اما الايات فما ورد في الشهدا اذ قال تعالى
ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احيا عند ربهم يرزقون
ولما قتل صناديد العرب يوم بدر ناداهم رسول الله صلى الله عليه
فقال يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما
وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات فقال
والذي نفسي بيده انهم لاسمع لهذا الكلام منكم الا انهم لا يقدرون
على الجواب فهذا نص في بقا روح الشقي وبقا ادراكها ومعرفتها والاية
نص في ارواح الشهدا ولا يخلو الموت عن سعادة او شقاوة وقال
صلى الله عليه وسلم القبر اما حفرة من حفر النار واما روضة من رياض
الجنة فهذا النص صريح في ان الموت معناه تغير حال فقط وان ما
سيكون من شقاوة الميت وسعادته يتعجل عند الموت من غير تاخير
وانما يتاخر بعض انواع العذاب والثواب دون اصله وروى انس
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الموت القيامة من مات فقد قامت
قيامته وقال صلى الله عليه اذا مات احدكم عرض عليه مقعده
غدوة وعشية ان كان من اهل الجنة فمن الجنة وان كان من اهل النار فمن النار
يقال هذا مقعدك حتى تبعث اليه يوم القيامة وليس يخفى ما في
مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال وعن ابي قيس قال كنا
مع علقمة في جنازة فقال اما هذا فقد قامت قيامته وقال علي رضي الله عنه

حرام على نفس ان تخرج من الدنيا حتى تعلم من اهل الجنة هي ام من اهل النار
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات
مريضا مات شهيدا ووقي فتان القبر وغدي وريح عليه برزقه من الجنة
وقال مسروق ما غبطت احدا ما غبطت مومنا في اللحد قد استراح من نصب
الدنيا وامن عذاب الله وقال يعلى بن الوليد كنت امشي يوما مع ابي الدرداء
فقلت له ما تحب لمن تحب قال الموت قلت فان لم يمت قال يقل ماله وولده
وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المومن والموت اطلاق للمومن من السجن
وانما احب الموت لانه لا يحبه الا المومن والموت اطلاق للمومن من السجن
وانما احب قلة الولد والمال لانه فتنة وسبب الانس بالدنيا والانس بمن لا
بد من فراقه غاية الشقاوة وكل ما سوى الله وذكره والانس به فلا بد
من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو انما مثل المومن
حين تخرج نفسه او روحه مثل رجل كان في سجن فاخرج منه فهو
يتفسح في الارض ويتقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تجافى عن
الدنيا وتبرم بها ولم يبق له انس الا بذكر الله وكانت شواغل الدنيا
تحبسه عن محبوبه ومقاساة الشهوات توذيه فكان في الموت خلاصه
من جميع الموذيات وانفراده بمحبوبه الذي كان به انسه من غير عائق
ولا دافع وما اجدر ذلك بان يكون منتهى النعيم واللذات واكمل
اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لانهم ما اقدموا على القتال
الا قاطعين التفاتهم عن علائق الدنيا مشتاقين الى لقاء الله

راضين بالقتل في طلب مرضاته فان نظر الى الدنيا فقد باعها طوعا بالاخرة
والبائع لا يلتفت قلبه الى المبيع وان نظر الى الاخرة فقد اشتراها و
تشوق اليها فما اعظم فرحه بما اشتراه اذا راه وما اقل التفاته الى ما باعه
اذا فارقه وتجرد القلب لحب الله قد يتفق في بعض الاحوال ولكن لا
يدركه الموت عليه فيتغير والقتال هو سبب الموت فكان سببا لادراك
الموت على مثل هذه الحالة فلهذا اعظم النعيم اذ معنى النعيم ان
ينال الانسان ما يريده قال الله تعالى ولهم فيها ما يشاءون فكان هذا اجمع
عبارة لمعاني لذات الجنة واعظم العذاب ان يمنع الانسان عن مراده
كما قال تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فكان هذا اجمع عبارة
لعقوبات اهل جهنم وهذا النعيم يدركه الشهيد كما انقطع نفسه
من غير تاخير وهذا امر انكشف لارباب القلوب بنور اليقين وان اردت
عليه شهادة من جهة السمع فجميع احاديث الشهداء تدل عليه وكل
حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة اخرى
فقد روي عن عائشة رضي الله عنها انها قالت قال رسول الله صلو
لجابر الا ابشرك يا جابر وكان قد استشهد ابوه فقال بلى بشرك
الله بالخير فقال ان الله احيا اباك فاقعده بين يديه فقال تمن
علي عبدي ما شئت اعطيكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك
اتمنى عليك ان تردني الى الدنيا فاقاتل مع نبيك فاقتل فيك مرة اخرى
قال له انه قد سبق مني انك اليها لا ترجع وقال كعب يوجد

رجل في الجنة يبكي فقيل له لم تبكي وانت في الجنة فقال ابكي ان لم اقتل
في الله الا قتلة واحدة وكنت اشتهي ان ارد فاقتل في الله مرات ه
واعلم ان المومن ينكشف له عقيب الموت من سعة جلال الله ما تكون
الدنيا بالاضافة اليه كالسجن والمضيق ويكون مثاله كالمحبوس في بيت مظلم
فتح له باب الى بستان واسع الاكناف لا يبلغ طرفه اقصاه فيه انواع
الاشجار والازهار والاطيار والثمار فلا يشتهي العود الى السجن المظلم
وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه له مثلا فقال لرجل مات اصبح هذا
مرتحلا عن الدنيا وتركها لاهلها فان هو قد رضي فلا يسره ان يرجع
الى الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الى بطن امه فعرفك بهذا
ان نسبة سعة الاخرة الى الدنيا كنسبة سعة الدنيا الى ظلمة الرحم
وقال صلى الله عليه وسلم ايضا ان مثل المومن في الدنيا كمثل
الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكى على مخرجه حتى اذا راى
الضوء ورضع لم يحب ان يرجع الى مكانه وكذلك المومن يجزع من الموت
فاذا افضى الى ربه لم يحب ان يرجع الى الدنيا كما لا يحب الجنين ان يرجع
الى بطن امه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا مات
فقال مستريح او مستراح منه اشار بالمستريح الى المومن وبالمستراح
منه الى الفاجر اذ يستريح اهل الدنيا منه ه وقال ابو عمر
صاحب السقيا مر بنا ابن عمر ونحن صبيان ننظر الى قبر فاذا جمجمة
بادية فامر رجلا فواراها ثم قال ان هذه الابدان ليس يضرها

هذا الثرى شيئا وانما الارواح التي تعاقب وتثاب الى يوم القيامة ه
وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده
وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم ه وقال مالك بن انس
بلغني ان ارواح المومنين مرسلة تذهب حيث شاءت وقال النعمان
بن بشير سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر يقول الا انه
لم يبق من الدنيا الا مثل الذباب يمور في جوها فالله الله في اخوانكم من اهل
القبور فان اعمالكم تعرض عليهم وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام
لا تفضحوا امواتكم بسيئات اعمالكم فانها تعرض على اوليائكم من اهل
القبور ولذلك قال ابو الدرداء اللهم اني اعوذ بك ان اعمل عملا اخزى به
عند عبد الله بن رواحة وهو خاله وكان قد مات وسئل عبد الله
بن عمرو بن العاص عن ارواح المومنين اذا ماتوا اين هي قال في صور طير بيض
في ظل العرش وارواح الكافرين في الارض السابعة وقال
ابو سعيد الخدري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يدليه في قبره وقال صالح
المري بلغني ان الارواح تتلاقى عند الموت فتقول ارواح الموتى
للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك وفي اي الجسدين كنت
في طيب او خبيث ه وقال عبيد بن عمير اهل القبور يتوكفون الاخبار
فاذا اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول الم ياتكم او ما قدم عليكم
فيقولون لا فيقولون انا لله وانا اليه راجعون سلك به غير سبيلنا

وعن جعفر عن سعيد قال اذا مات الرجل يستقبله ولده كما يستقبل
الغايب ٭ وقال مجاهد ان الرجل يبشر بصلاح ولده في قبره ٭
وروي ابو ايوب الانصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم ان نفس المومن
اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا
يقولون انظروا اخاكم حتى يستريح فانه كان في كرب شديد فيسالونه
ماذا فعل فلان وما فعلت فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن
رجل مات قبله فقال مات قبلي قالوا انا لله ذهب به الى امه الهاوية ٭

بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى

اما بلسان المقال او بلسان الحال الذي هو افصح في تفهيم الموتى من لسان
المقال في تفهيم الاحياء ٭ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول القبر للميت حين يوضع فيه ويحك يا ابن ادم ما غرك بي الم تعلم
اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك
بي اذ كنت تمر بي فدادا فان كان مصلحا اجاب عنه مجيب للقبر
فيقول ارايت ان كان يامر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول القبر
اني اذا اتحول عليه خضرا ويعود جسمه نورا وتصعد روحه الى الله
والفداد هو الذي يقدم رجلا ويوخر اخرى كذلك فسره الراوي
وقال عبيد بن عمير الليثي ليس من ميت يموت الا نادته
حفرته التي يدفن فيها انا بيت الظلمة والوحدة والانفراد فان كنت
في حياتك مطيعا لله كنت عليك اليوم رحمة وان كنت عاصيا

فانا عليك اليوم نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن
دخلني عاصيا خرج مثبورا ٭ وقال محمد بن صبيح بلغنا ان
الرجل اذا وضع في قبره فعذب واصابه بعض ما يكره ناداه جيرانه
من الموتى ايها المتخلف في الدنيا بعد اخوانه وجيرانه اما كان لك فينا معتبر
اما كان لك في تقدمنا اياك فكرة اما رايت انقطاع اعمالنا عنا وانت
في المهلة فهلا استدركت ما فات اخوانك وتناديه بقاع الارض ايها
المغتر بظاهر الدنيا هلا اعتبرت بمن غيب من اهلك في بطن الارض
ممن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به اجله الى القبور وانت تراه محمولا
تهاداه احبته الى المنزل الذي لا بد له منه ٭ وقال يزيد الرقاشي
بلغني ان الميت اذا وضع في قبره احتوشته اعماله ثم انطقها الله
فقالت ايها العبد المنفرد في حفرته انقطع عنك الاخلاء والاهلون
فلا انيس لك اليوم عندنا ٭ وقال كعب اذا وضع العبد الصالح
في القبر احتوشته اعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد
والصدقة قال فتجيء ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة
اليكم عنه فلا سبيل لكم عليه فقد اطال بي القيام لله عليهما فاتونه
من قبل راسه فيقول الصيام لا سبيل لكم عليه فقد اطال ظماه لله في
دار الدنيا فلا سبيل لكم عليه فياتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد
اليكم عنه فقد انصب نفسه واتعب بدنه وحج وجاهد لله لا سبيل لكم
عليه قال فياتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي

فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقعت في يد الله ابتغاء وجه الله
فلا سبيل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وميتا قال وتاتيه ملائكة
الرحمة فتفرش له فراشا من الجنة ودثارا من الجنة ويفسح في قبره
مد بصره ويوتى بقنديل من الجنة فيستضيء بنوره الى يوم يبعثه الله
من قبره ٭ وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلغني ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يقعد وهو يسمع
خطو مشيعيه فلا يكلمه شيء الا قبره فيقول ويحك يا ابن ادم
اليس قد حذرت مني وحذرت ضيقي ونتني وهولي ودودي فماذا
اعددت لي ٭

بيان عذاب القبر وسوال منكر ونكير

قال البراء بن عازب خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في جنازة رجل من الانصار فجلس رسول الله على قبره منكسا راسه
ثم قال اللهم اني اعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال ان المومن اذا
كان في قبل من الاخرة بعث الله ملايكة كان وجوههم الشمس معهم
حنوطه وكفنه فيجلسون مد بصره فاذا خرجت روحه صلى عليه
كل ملك بين السما والارض وكل ملك في السما وفتحت ابواب السما
فليس منها باب الا يحب ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه
قيل اي رب عبدك فلان فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت له
من الكرامة فاني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية

وانه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك
وما دينك ومن نبيك فيقول ربي الله وديني الاسلام ونبيي محمد صلى الله عليه وسلم
قال فينتهره انتهارا شديدا وهي اخر فتنة تعرض على الميت
فاذا قال ذلك نادى مناد ان صدقت وهو معنى قوله تعالى
يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت الاية ثم ياتيه ات حسن الوجه
طيب الريح حسن الثياب فيقول ابشر برحمة من ربك وجنات فيها
نعيم مقيم فيقول وانت فبشرك الله بخير من انت فيقول انا عملك
الصالح والله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن
معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادي مناد ان افرشوا له
من فرش الجنة وافتحوا له بابا الى الجنة فيفرش له فرش من الجنة
ويفتح له باب الى الجنة فيقول اللهم عجل قيام الساعة حتى ارجع
الى اهلي ومالي قال واما الكافر فانه اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع
من الدنيا نزلت اليه ملايكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرابيل
من قطران فيحتوشونه فاذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السما
والارض وكل ملك في السما وغلقت ابواب السما فليس منها باب
الا يكره ان يدخل بروحه منه فاذا صعد بروحه نبذ وقيل اي رب
عبدك فلان لم تقبله سما ولا ارض فيقول ارجعوه فاروه ما اعددت
له من الشر اني وعدته منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية وانه ليسمع
خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين حتى يقال له يا هذا من ربك وما دينك

هذه المهلكات وانشعاب فروعها الا ان مقدار عددها لا يوقف عليه
الا بنور النبوة فامثال هذه الاخبار لها ظواهر صحيحة واسرار خفية ولكنها
عند ارباب البصاير واضحة فمن لم تنكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر
ظواهرها بل اقل درجات الايمان التسليم والتصديق فان قلت
فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيا من ذلك
فما وجه التصديق على خلاف المشاهدة فاعلم ان لك ثلث
مقامات في التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر والاصح والاسلم
ان تصدق بانها موجودة وهي تلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك
فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة الامور الملكوتية وكل ما يتعلق بالاخرة
فهو من عالم الملكوت اما ترى الصحابة كيف كانوا يومنون بنزول
جبريل وما كانوا يشاهدونه ويومنون بانه عليه السلام يشاهده
فان كنت لا تومن بهذا فتصحيح اصل الايمان بالملايكة والوحي اهم
عليك وان امنت به وجوزت ان يشاهد النبي ما لا تشاهده الامة
فكيف لا تجوز هذا في الميت وكما ان الملك لا يشبه الادميين و
الحيوانات فالحيات والعقارب التي تلدغ في القبر ليست من جنس
حيات عالمنا بل هي جنس اخر وتدرك بحاسة اخرى والمقام
الثاني ان تتذكر امر النايم وانه قد يرى في نومه حية تلدغه وهو
يتالم بذلك حتى تراه في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج
من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه ويتاذى به كما يتاذى اليقظان

وهو يشاهده وانت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حوله حية والحية
موجودة في حقه والعذاب حاصل ولكنه في حقك غير مشاهد
واذا كان العذاب في الم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل او تشاهد
المقام الثالث انك تعلم ان الحية بنفسها لا تولم بل الذي
يلقاك منها وهو السم ثم السم ليس هو الالم بل عذابك في الاثر الذي
يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الاثر من غير سم لكان العذاب
قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف
الى السبب الذي يفضي اليه في العادة فانه لو خلق في الانسان لذة
الوقاع مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعريفها الا بالاضافة
اليه لتكون الاضافة للتعريف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة
وان لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه
الصفات المهلكات تنقلب موذيات ومولمات في النفس عند الموت
فتكون الامها كالام لدغ الحيات من غير وجود حيات وانقلاب
الصفة موذية يضاهي انقلاب العشق موذيا عند موت المعشوق
فانه كان لذيذا فطرت حالة صار اللذيذ بنفسه مولما حتى يرد
بالقلب من انواع العذاب ما يتمنى معه انه لم يكن قد تنعم بالعشق
والوصال بل هذا بعينه هو احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط
العشق في الدنيا على نفسه فصار يعشق ماله وعقاره وجاهه
وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو

رجوعه اليه فماذا ترى يكون حاله اليس يعظم شقاوه ويشتد عذابه
ويتمنى ويقول ليته لم يكن لي مال قط ولا جاه قط فكنت لا اتاذى
بفراقه فالموت عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيا وبالكلية دفعة واحدة

وما حال من كان له ولد واحد غيب عنه ذلك الواحد

فما حال من لا يفرح الا بالدنيا فتوخذ منه الدنيا ويسلم الى اعدايه
ثم ينضاف الى هذا العذاب تحسره على ما فاته من نعيم الاخرة والحجاب
عن الله تعالى فان حب غير الله يحجب عن لقا الله والتنعم به فيتوالى
عليه الم الفراق لجميع محبوباته وحسرة ما فاته من نعيم الاخرة ابد
الاباد وذل الرد والحجاب عن الله هو الذي يعذب به اذ لا يتبع
نار الفراق الا نار جهنم كما قال تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون ثم انهم لصالوا الجحيم واما من لم ياسن بالدنيا ولم يحب الا الله
وكان مشتاقا الى لقايه فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاسات الشهوات
فيها وقدم على محبوبه وانقطعت عنه العوايق والصوارف وتوفر
عليه النعيم مع الامن عن الزوال ابد الاباد ولمثل ذلك فليعمل العاملون
والمقصود ان الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خير بين ان يوخذ منه
وبين ان تلدغه عقرب اثر الصبر على لدغ العقرب فاذا الم فراق
الفرس عنده اعظم من لدغ العقرب وحبه للفرس هو الذي يلدغه
اذا اخذ منه فرسه فليستعد لهذه اللدغات فان الموت ياخذ منه
فرسه ومركبه وداره وعقاره وولده واهله واحبابه ومعارفه وياخذ منه

جاهه وقبوله بل ياخذ منه سمعه وبصره واعضاه وييس من رجوع
جميع ذلك اليه فاذا لم يحب سواه وقد اخذ جميع ذلك منه فذلك اعظم
عليه من العقارب والحيات وكما لو اخذ ذلك منه وهو حي يعظم عذابه
فكذلك اذا مات لانا قد بينا ان المعنى الذي هو المدرك للالام واللذات
لم يمت بل عذابه بعد الموت اشد لانه في الحياة يتسلى باسباب يشغل
بها حواسه من مجالسة ومحادثة ويتسلى برجا العود اليه ويتسلى برجا
العوض منه ولا سلوة بعد الموت اذا انسدت عليه طرق التسلي و
حصل الياس فاذا كل قميص له ومنديل قد احبه بحيث كان يشق
عليه لو اخذ منه فانه يبقى متاسفا عليه ومعذبا به فان كان مخفا
من الدنيا سلم وهو المعنى بقوله نجا المخففون وان كان مثقلا عظم
عذابه وكما ان حال من يسرق منه دينار اخف حال من يسرق منه
عشرة دنانير وكذلك صاحب الدرهم اخف من صاحب الدرهمين
وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم اخف حسابا
من صاحب الدرهمين وما من شي من الدنيا يتخلف عنك عند الموت
الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شيت فاستقل وان شيت
فاستكثر فان استكثرت فلست مستكثرا الا من الحسرة وان
استقللت فلست تخفف الا عن ظهرك وانما تكثر الحيات والعقارب
في قبور الاغنيا الذين استحبوا الحيوة الدنيا على الاخرة وفرحوا بها
واطمانوا اليها فهذه مقامات الايمان في حيات القبر وعقاربه

وسایر انواع عذابه ورأى ابو سعيد الخدري ابنا له قد مات في المنام فقال
له يا بني عظني فقال لا تخالف الله تعالى فيما يريد قال يا بني زدني قال يا ابه
لا تطيق قال بلى قال لا تجعل بينك وبين الله قميصا قال فما لبس قميصا
ثلثين سنة ● فان قلت فما الصحيح من هذه المقامات
الثلث فاعلم ان من الناس من لم يثبت الا الاول وانكر ما بعده ومنهم من
انكر الاول واثبت الثاني ومنهم من لم يثبت الا الثالث وانما الحق الذي
انكشف لنا بطريق الاستبصار ان كل ذلك في حيز الامكان وان من ينكر بعض
ذلك فهو لضيق حوصلته وجهله باتساع قدرة الله تعالى وعجايب
تدبيره فينكر من افعال الله تعالى ما لم يأنس به ويألفه وذلك جهل
وقصور بل هذه الطرق الثلثة في التعذيب ممكنة والتصديق بها
واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه الانواع ورب عبد
تجمع عليه هذه الانواع الثلثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره
هذا هو الحق فصدق به تقليدا فيعز على بسيط الارض من يعرف
ذلك تحقيقا والذي اوصيك به ان لا تكثر نظرك في تفصيل ذلك
ولا تشتغل بمعرفته بل تشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيف
ما كان فان اهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك
كنت كمن اخذه سلطان وحبسه ليقطع يده ويجدع انفه فاخذ
طول الليل يتفكر في انه هل يقطعه بسكين او بسيف او بموسى
واهمل طريق الحيلة في دفع اصل العذاب عن نفسه وهو غاية

الجهل فقد علم على القطع ان العبد بعد الموت لا يخلو عن عقاب
عظيم او عن نعيم مقيم فينبغي ان يكون الاستعداد له فاما البحث
عن تفصيل العقاب والثواب ففضول وتضييع زمان ●

بيان سوال منكر ونكير وصورتهما
وضغطة القبر وبقية القول في عذاب القبر ●

قال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد اتاه
ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما منكر وللاخر نكير فيقولان
له ما كنت تقول في النبي فان كان مومنا قال هو عبد الله ورسوله
اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فيقولان ان كنا
لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين
ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له نم فيقول دعوني ارجع الى اهلي
فاخبرهم فيقال له نم فينام كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب
اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال
لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيا وكنت اقوله فيقولان ان
كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التامي عليه فتلتئم عليه
حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من
مضجعه ذلك ● وعن عطا بن يسار قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك اذا انت مت فانطلق بك
قومك فقاسوا لك ثلثة اذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا اليك

فغسلوك وكفنوك وحنطوك ثم احتملوك حتى يضعوك فيه ثم يهيلوا
عليك التراب ويدفنوك فاذا انصرفوا عنك اتاك فتانا القبر منكر ونكير
اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف يجران شعورهما
ويحثيان القبر بانيابهما فتلتلاك وترتراك كيف بك عند ذلك يا عمر
فقال عمر ويكون معي مثل عقلي الان قال نعم قال اذا اكفيكهما ●
وهذا النص صريح في ان العقل لا يتغير بالموت انما يتغير البدن والاعضا
فيكون الميت عاقلا مدركا عالما بالالام واللذات كما كان لا يتغير من عقله
شي وليس العقل المدرك هذه الاعضا بل هو شي باطن ليس له طول ولا عرض
بل الذي لا ينقسم في نفسه هو المدرك للاشيا ولو تناثرت اعضا الانسان
كلها ولم يبق الا الجزء المدرك الذي لا يتجزا ولا ينقسم لكان الانسان العاقل
بكماله قايما باقيا وهو كذلك بعد الموت فان ذلك الجزء لا يحله الموت
ولا يطرا عليه العدم قال محمد بن المنكدر بلغني ان الكافر يسلط
عليه في قبره دابة عميا صما في يدها سوط من حديد في راسها مثل عرف
الجمل تضربه به الى يوم القيامة لا تراه فتتقيه ولا تسمع صوته
فترحمه وقال ابو هريرة اذا وضع الميت في قبره جاءت اعماله
الصالحة فاحتوشته فان اتاه من قبل راسه جاءت قراءته القران
وان جاءه من قبل رجليه جاء قيامه وان اتاه من قبل يديه قالت اليدان
والله لقد كان يبسطني للصدقة والدعا لا سبيل لكم عليه وان جاء من قبل
فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك الصلاة والصبر ناحية فيقول

اما اني لو رايت خللا لكنت انا صاحبه قال سفيان يجاحش عنه اعماله
الصالحة كما يحاجج الرجل عن اخيه واهله وولده ثم يقال عند ذلك
بارك الله لك في مضجعك فنعم الاخلاء اخلاوك ونعم الاصحاب اصحابك
وعن حذيفة قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة
فجلس على راس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال يضغط المومن في هذا
ضغطة تزول منها حمايله ● وقالت عايشة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان للقبر ضغطة لو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ
وعن انس قال توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكانت امراة مسقامة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم
فساءنا حاله فلما انتهينا الى القبر فدخله امتقع وجهه صفرة فلما خرج
اسفر وجهه فقلنا يا رسول الله راينا منك شانا فمم ذلك قال ذكرت ضغطة
ابنتي وشدة عذاب القبر فاتيت فاخبرت ان الله قد خفف عنها ولقد
ضغطت ضغطة سمع صوتها ما بين الخافقين ●

الباب الثامن فيما عرف من احوال الموتى بالمكاشفة في المنام

اعلم ان انوار البصاير المستفادة من كتاب الله وسنة رسوله ومن
مناهج الاعتبار تعرفنا احوال الموتى على الجملة وانقسامهم الى سعدا
واشقيا ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف به اصلا فانا ان عولنا
على ايمان زيد فلا ندري على ما ذا مات وكيف ختم له وان عولنا على صلاحه

الظاهر فالتقوى محله القلب وهو غامض تخفى على صاحب التقوى
فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى
انما يتقبل الله من المتقين فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو الا بمشاهدته
ومشاهدة ما يجري عليه واذا مات فقد تحول من عالم الملك والشهادة
الى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة وانما يرى بعين اخرى
خلقت تلك العين في قلب كل انسان ولكن الانسان جعل عليها غشاوة
كثيفة من شهواته واشغاله الدنياويه فصار لا يبصر بها ولا يتصور ان يبصر
شيا من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه ولما كانت
الغشاوة منقشعة عن اعين الانبيا عليهم السلام فلا جرم نظروا
الى الملكوت وشاهدوا عجايبه والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم
واخبروا ولذلك راى رسول الله صلى الله عليه وسلم ضغطة القبر
في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال ابي جابر
لما استشهد اذ اخبر ان الله تعالى اقعده بين يديه ليس بينهما
ستر ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الانبيا والاوليا الذين
تقرب درجتهم منهم وانما الممكن من امثالنا مشاهدة اخرى
ضعيفة الا انها ايضا مشاهدة نبوية واعني به المشاهدة في المنام
وهو من انوار النبوة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرويا
الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من اجزا النبوة وهو ايضا
انكشاف لا يحصل الا بانقشاع الغشاوة عن القلب فلذلك لا يوثق

الا برويا الرجل الصالح الصادق ومن كثر كذبه لم تصدق روياه ومن كثر فساده
ومعاصيه اظلم قلبه فكان ما يراه اضغاث احلام ولذلك امر رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهرا وهو اشارة الى
طهارة الباطن ايضا فهو الاصل وطهارة الظاهر بمنزلة التتمة والتكملة
لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدقة القلب ما سيكون في المستقبل
كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم حتى
نزل قوله تعالى لقد صدق الله رسوله الرويا بالحق وقلما يخلوا الا
نسان عن منامات دلت على امور فوجدها صحيحة والرويا ومعرفة
الغيب في النوم من عجايب صنع الله تعالى وبدايع فطرة الادمي
وهو من اوضح الادلة على عالم الملكوت والخلق غافلون عنه لغفلتهم
عن ساير عجايب القلب وعجايب العالم والقول في حقيقة الرويا
من دقايق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره علاوة على علم المعاملة
ولكن القدر الذي يمكن ذكرها هنا مثال يفهمك المقصود وهو ان
تعلم ان القلب مثاله مثال مراة تتراءى فيه الصور وحقايق الامور
وان كل ما قدره الله تعالى من ابتدا خلق العالم الى اخره مسطور
ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة باللوح وتارة بالكتاب
المبين وتارة بامام مبين كما ورد في القران فجميع ما جرى في العالم
وما سيجري مكتوب فيه ومنقوش عليه نقشا لا يشاهد بهذا العين
ولا تظنن ان ذلك اللوح من خشب او حديد او عظم وان الكتاب

بيان حقيقة النوم

من كاغذ او رق بل ينبغي ان تفهم قطعا ان لوح الله لا يشبه لوح الخلق
وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما ان ذاته وصفاته لا تشبه ذات
الخلق وصفاتهم بل ان كنت تطلب له مثالا تقربه الى فهمك فاعلم
ان ثبوت المقادير في اللوح المحفوظ يضاهي ثبوت كلمات القران
وحروفه في دماغ حافظ القران فانه مسطور فيه حتى كانه حيث
يقراه ينظر اليه ولو فتشت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك
الخط حرفا فمن هذا النمط ينبغي ان تفهم كون اللوح منقوشا بجميع
ما قدره الله وقضاه واللوح في المثال كمراة ظهرت فيها الصور فلو
وضع في مقابلة المراة مراة اخرى لكانت صورة تلك المراة تتراءى
في هذه الا ان يكون بينهما حجاب فالقلب مراة تقبل رسوم العلوم
واللوح مراة رسوم العلوم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشهواته
ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من
عالم الملكوت فان هبت ريح حركت هذا الحجاب ورفعته تلالا في مراة
القلب شيء من عالم الملكوت كالبرق الخاطف وقد يثبت ويدوم وقد
لا يدوم وهو الاغلب وما دام متيقظا فهو مشغول بما تورده الحواس
من عالم الشهادة وهو حجاب عن عالم الملكوت ومعنى النوم ان تركد الحواس
فلا تورد على القلب شيا فاذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا
في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء
مما في اللوح كما تقع الصورة من مراة في مراة اذا ارتفع الحجاب بينهما

الا ان النوم مانع ساير الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه
فما يقع في القلب يبتدره الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه وتكون المتخيلات
اثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فاذا انتبه لم يتذكر
الا الخيال فيحتاج المعبر ان ينظر ان هذا الخيال حكاية اي معنى
من المعاني فيرجع الى المعاني بالمناسبة بين المتخيل والمعاني وامثلة
ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكفيك مثال واحد وهو ان
رجلا قال لابن سيرين رايت كان بيدي خاتما اختم به افواه الرجال
وفروج النسا فقال انك مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان فقال
صدقت فانظر ان روح الختم هو المنع ولاجله يراد الختم وانما ينكشف
للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا
للناس من الاكل والشرب ولكن الخيال الف المنع عند الختم بالخاتم
فيمثله بالصورة الخيالية التي تتضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ
الا الصورة الخيالية فهذه نبذة يسيرة من بحر علم الرويا
الذي لا تنحصر عجايبه وكيف لا وهو اخو الموت وانما الموت هو عجب
من العجايب وهذا لانه يشبهه من وجه ضعيف اذ يرفع كشف
الغطا عن عالم الغيب حتى صار النايم يعرف ما سيكون في المستقبل
فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطا بالكلية
حتى يرى الانسان عند انقطاع النفس من غير تاخير نفسه اما محفوفا
بالانكال والخزي والفضايح نعوذ بالله من ذلك واما مكنوفا بنعيم

مقيم وملك كبير لا احزله وعند هذا يقال للاشقياء وقد انكشف الغطا لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد ويقال افسحر هذا ام انتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا او لا تصبروا سوا عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون واليه الاشارة بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فاعلم العلم واعرف الحكم ينكشف له عقيب الموت من العجايب والايات ما لم يخطر قط بباله ولا اختلج به ضميره فلو لم يكن للعاقل هم ولا غم الا التفكر في خطر تلك الحالة ان الحجاب عماذا يرتفع وما الذي ينكشف عنه الغطا من شقاوة لازمة او سعادة دايمة لكان ذلك كافيا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظايم بين ايدينا واعجب من ذلك فرحنا باموالنا واهلينا واسنابنا واولادنا بل باعضائنا وسمعنا وبصرنا مع انا نعلم مفارقة جميع ذلك يقينا ولكن اين من نفث روح القدس في روعه فيقول له ما قال لسيد المرسلين احبب ما احببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به فلا جرم لما كان ذلك مكشوفا له بعين اليقين كان في الدنيا كعابر سبيل لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة ولم يخلف دينارا ولا درهما ولم يتخذ حبيبا ولا خليلا ثم قال لو كنت متخذا خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الرحمن فبين ان خلة الرحمن تخللت باطن قلبه وان حبه تمكن من حبة قلبه فلم يترك فيه متسعا لخليل ولا حبيب وقد قال لامته ان كنتم

تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم فانما امته من اتبعه وما اتبعه الا من اعرض عن الدنيا واقبل على الاخرة فانه ما دعى الا الى الله واليوم الاخر وما صرف الا عن الدنيا والحظوظ العاجلة فبقدر ما اعرضت عن الدنيا واقبلت على الاخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه وبقدر ما سلكت سبيله فقد اتبعته وبقدر ما اتبعته صرت من امته وبقدر ما اقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن متابعته والتحقت بالذين قال تعالى فيهم فاما من طغى واثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى فلو خرجت من مكمن الغرور وانصفت نفسك يا رجل وكلنا ذلك الرجل لعلمت انك من حين تصبح الى حين تمسي لا تسعى الا في الحظوظ العاجلة ولا تتحرك ولا تسكن الا للعاجلة الدنيا ثم تطمع في ان تكون غدا من امته واتباعه ما ابعد ظنك وابرد طمعك افنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ولنرجع الى ما كنا فيه وبصدده فقد امتد عنان الكلام الى غير مقصده ولنذكر الان من المنامات الكاشفة لاحوال الموتى ما يعظم الانتفاع به اذ ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وليس ذلك الا المنامات

بيان منامات تكشف عن احوال الموتى والاعمال النافعة في الاخرة

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قال صلى الله عليه من راني فقد راني فان الشيطان لا يتمثل بي وقال عمر رضي الله عنه

رايت رسول الله صلى الله عليه في المنام فقلت يا رسول الله ما شاني فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صايم قال فوالذي نفسي بيده لا اقبل امراة وانا صايم ابدا وقال ابن عباس كنت ادعو الله ان يريني عمر في المنام فما رايته الا عند راس الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا اني لقيته رؤوفا رحيما وقال الحسن بن علي قال لي علي رضي الله عنه ان رسول الله عليه السلام سنح لي الليلة في منامي فقلت يا رسول الله ما لقيت من امتك قال ادع عليهم فقلت اللهم ابدلني بهم من هو خير لي منهم وابدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فضربه ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رايت رسول الله صلى الله عليه فقلت يا رسول الله استغفر لي فاعرض عني فقلت يا رسول الله ان سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله انك لم تسأل شيا فقلت لا فاقبل علي فقال غفر الله لك وروي عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لابي لهب مصاحبا له فلما مات واخبر الله عنه بما اخبر حزنت عليه واهمني امره فسالت الله تعالى حولا ان يريني اياه في المنام قال فرايته يلتهب نارا فسالته عن حاله فقال مررت الى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح الا ليلة الاثنين في كل الليالي والايام قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاتني اميمة فبشرتني بولادة امنة اياه

ففرحت به واعتقت وليدة لي فرحا به فاثابني الله بذلك ان رفع عني العذاب في كل ليلة اثنين وقال عبد الواحد بن زيد خرجت حاجا فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد ولا يتحرك ولا يسكن الا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم فسالته عن ذلك فقال اخبرك عن ذلك خرجت اول مرة الى مكة ومعي ابي فلما انصرفنا نمت في بعض المنازل فبينا انا نايم اذ اتاني ات فقال لي قم فقد امات الله اباك وسود وجهه فقمت مذعورا فكشفت الثوب عن وجهه فاذا هو ميت اسود الوجه فداخلني من ذلك رعب فبينا انا في ذلك الغم اذ غلبتني عيني فاذا على راس ابي اربعة سودان معهم اعمدة حديد اذ اقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين اخضرين فقال لهم تنحوا فمسح وجهه بيده ثم اتاني فقال قم فقد بيض الله وجه ابيك فقلت من انت بابي انت وامي فقال انا محمد قال فقمت فكشفت الثوب عن وجه ابي فاذا هو ابيض فما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز قال رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر رضي الله عنهما جالسان عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اتي بعلي ومعوية فادخلا بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع ان خرج علي رضي الله عنه وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع ان خرج معوية على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة وليستيقظ ابن عباس

من نومه مرة فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله
فانكر اصحابه فقال رايت رسول الله صلى الله عليه ومعه زجاجة
من دم فقال الا تعلم ما صنعت امتي بعدي قتلوا ابني الحسين وهذا دمه
ودما اصحابه ارفعها الى الله فجا الخبر بعد اربعة وعشرين يوما
بقتله في اليوم الذي راه ٭ وراي الصديق رضي الله عنه فقيل له انك
كنت تقول ابدا في لسانك هذا اوردني الموارد فما فعل الله بك فقال
قلت به لا اله الا الله فاوردني الجنة ٭

بيان منامات المشايخ رضي الله عنهم

قال بعض المشايخ رايت مثنا الدور في المنام فقلت ما فعل الله بك
سيدي فقال ادرني في الجنان فقال لي يا مثنا هل استحسنت فيها شيا
قلت لا يا سيدي فقال لو استحسنت منها شيا لوكلتك اليه ولم ادعك
الي ٭ وراي يوسف بن الحسين في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي قيل بماذا قال ما خلطت جدا بهزل ٭ وعن منصور
بن اسمعيل قال رايت عبد الله البزاز في النوم فقلت ما فعل الله بك
فقال وقفني بين يديه فغفر لي كل ذنب اقررت به الا ذنبا واحدا
فاني استحييت ان اقر به فاوقفني في العرق حتى سقط لحم وجهي
فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت الى غلام جميل فاستحسنته
فاستحييت من الله تعالى ان اذكره ٭ وقال ابو جعفر
الصيدلاني رايت رسول الله في المنام وحوله جماعة من الفقرا

فبينا نحن كذلك اذ انشقت السما ونزل ملكان احدهما بيده طشت
وبيد الاخر ابريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله عليه السلام
فغسل يده ثم امر فغسلوا ايديهم ثم وضع الطست بين يدي فقال احدهما للاخر
لا تصب على يده فانه ليس منهم فقلت يا رسول الله اليس يروى عنك
انك قلت المرء مع من احب قال بلى قلت يا رسول الله فاني احبك واحب
هولا الفقرا فقال صلى الله عليه صب على يده فانه منهم ٭ وقال
الجنيد رايت في النوم كاني اتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال
اقرب ما تقرب به المتقربون الى الله تعالى ماذا فقلت عمل خفي
بميزان وفي فولى الملك وهو يقول كلام موفق والله وراى
مجمع في النوم فقيل له كيف رايت الامر فقال رايت الزاهدين
في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والاخرة ٭ وقال رجل من اهل الشام
للعلا بن زياد رايتك في النوم كانك في الجنة فنزل عن مجلسه واقبل عليه
ثم قال لعل الشيطان اراد امرا فعصمت عنه فاشخص رجلا يقتلني ٭
وقال محمد بن واسع الرويا تسر المومن ولا تغره ٭ وقال صالح بن بشير
رايت عطا السلمي في النوم فقلت له رحمك الله لقد كنت طويل
الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة
وفرحا دايما قلت في اي الدرجات انت فقال مع الذين انعم الله
عليهم من النبيين الاية ٭ وسيل نداد بن داود في المنام
اي الاعمال افضل عندك فقال الرضا وقصر الامل ٭ وقال يزيد بن مذعور

رايت الاوزاعي في المنام فقلت يا ابا عمرو دلني على عمل اتقرب به الى الله تعالى
فقال ما رايت هناك درجة ارفع من درجة العلما ثم درجة المحزونين
قال وكان يزيد شيخا كبيرا فلم يزل يبكي حتى اظلمت عيناه وقال ابن
عيينة رايت اخي في المنام فقلت يا اخي ما فعل الله بك فقال كل ذنب
استغفرت منه غفره لي وما لم استغفره منه لم يغفره لي ٭ وقال
علي الطلحي رايت في المنام امراة لا تشبه نسا الدنيا فقلت من انت
فقالت حورا قلت زوجيني نفسك قالت اخطبني الى سيدي وامهرني
قلت وما مهرك قالت حبس نفسك عن افاتها ٭ وقال ابرهيم بن اسحق
الحربي رايت زبيده في المنام فقلت ما فعل الله بك فقالت غفر لي
قلت بما انفقت في طريق مكة قالت اما النفقات التي انفقتها رجعت
اجورها الى اربابها وغفر لي بنيتي ٭ ولما مات سفين الثوري
راي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال وضعت اول قدمي على
الصراط والثاني في الجنة ٭ وقال احمد الحواري رايت فيما يرى النايم
جارية ما رايت احسن منها وكان وجهها يتلالا نورا فقلت لها ما ذا
ضوو وجهك فقالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها قلت نعم قالت
اخذت دمعك فمسحت به وجهي فمن ثم اضا وجهي كما ترى ٭
وقال الكتاني رايت الجنيد في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال
طاحت الاشارات وذهبت العبارات وما حصلنا الا على ركعتين
كنا نصليها في الليل ٭ ورايت زبيدة في المنام فقيل لها ما فعل الله

بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الاربع لا اله الا الله افني بها عمري
لا اله الا الله ادخل بها قبري لا اله الا الله اخلو بها وحدي لا اله الا الله
القى بها ربي ٭ وروي بشر في المنام فقيل له ما فعل الله بك
قال رحمني ربي تعالى وقال يا بشر اما استحييت مني كنت تخافني كل
ذلك الخوف ٭ وراي ابو سليمان في النوم فقيل له ما فعل الله بك
قال رحمني وما كان شي اضر علي من اشارات القوم الي ٭ وقال ابو بكر
الكتاني رايت في النوم شابا لم ار احسن منه فقلت من انت قال التقوى
قلت فاين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فاذا امراة سودا كاحسن
ما يكون فقلت من انت قالت انا السقم قلت فاين تسكنين قالت كل قلب
فرح مرح قال فانتبهت واعتقدت ان لا اضحك الا غلبة ٭ وقال
ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ابليس وثب علي فاخذت العصا
لاضربه فلم يفزع منه فهتف بي هاتف ان هذا لا يخاف من هذه وانما
يخاف من نور يكون في القلب ٭ وقال المسوحي رايت ابليس في المنام
عريانا يمشي فقلت الا تستحيي من الناس فقال بالله هولا ناس لو كانوا
من الناس ما كنت العب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان
بالكرة بل الناس قوم غير هولا قد اسقموا جسمي واشار بيده الى
اصحابنا الصوفية ٭ وقال ابو سعيد الخراز كنت بدمشق فرايت
في المنام كان النبي صلى الله عليه جاني متكيا على ابي بكر وعمر
رضي الله عنهما فجا فوقف علي وانا اقول شيا من الاصوات

وارني في صدري فقال هذا اكثر من خيره ◦ وعن ابن عيينة قال رايت
سفين الثوري في المنام كانه في الجنة يطير من شجرة الى شجرة يقول
لمثل هذا فليعمل العاملون فقلت له اوصني فقال اقلل من معرفة
الناس ◦ وروى ابو حاتم الرازي عن قبيصة بن عقبة قال رايت
الثوري فقلت ما فعل الله بك

نظرت الى ربي كفاحا فقال لي هنيا رضاي عنك يا بن سعيد
فقد كنت قواما اذا اظلم الدجا بعبرة مشتاق وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر اردته وزرني فاني منك غير بعيد

وراى الشبلي بعد موته بثلثة ايام فقيل ما فعل الله بك قال ناقشني
حتى ايست فلما راى ياسي تغمدني برحمته ◦ وراى مجنون بني عامر
بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي وجعلني
حجة على المحبين ◦ وراى الثوري في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال رحمني فقيل ما حال عبد الله بن المبارك فقال هو ممن يلج على ربه
في كل يوم مرتين ◦ وراى بعضهم فسيل عن حاله فقال حاسبونا
فدققوا ثم منوا فاعتقوا ◦ وراى مالك بن انس فقيل له ما فعل الله
بك فقال غفر لي بكلمة كان يقولها عثمن رضي الله عنه
عند روية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت ◦ وراى في الليلة التي
مات فيها الحسن البصري كان ابواب السما مفتحة وكان مناديا ينادي
الا ان الحسن البصري قدم على الله وهو عنه راض ◦ وراى الجاحظ

فقيل له ما فعل الله بك فقال

ولا تكتب بخطك غير شي يسرك في القيامة ان تراه

وراى الجنيد ابليس في المنام عريانا فقال الا تستحيي من الناس فقال
وهولاء ناس الناس اقوام في مسجد الشونيزية قد اضنوا جسدي واحرقوا
كبدي فلما انتبهت غدوت الى المسجد فرايت جماعة قد وضعوا روسهم
على ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث ◦ وراى
النصراباذي بمكة بعد وفاته في المنام فقيل له ما فعل الله بك
قال عوتبت عتاب الاشراف ثم نوديت يا ابا القسم ابعد الاتصال انفصال
قلت لا يا ذا الجلال فما وضعت في اللحد حتى لحقت بالاحد ◦ وراى
عتبة الغلام حورا في المنام على صورة حسنة فقالت يا عتبة
انا لك عاشقة فانظر لا تعمل من الاعمال شيا يحول بيني وبينك فقال
عتبة طلقت الدنيا ثلثا لا رجعة لي عليها حتى القاك ◦ وقيل
راى ايوب السختياني جنازة عاص من اهل الدهليز لئلا يصلي
عليها فراه بعضهم الميت في المنام فقال له ما فعل الله بك
فقال غفر لي وقال قل لايوب قل لو انتم تملكون خزاين رحمة ربي اذا
لامسكتم خشية الانفاق ◦ وقال بعضهم رايت في الليلة التي
مات فيها داود الطائي نورا وملايكة نزولا وملايكة صعودا فقلت
اي ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرفت الجنة
لقدوم روحه ◦ وقال ابو سعيد الشحام رايت سهل الصعلوكي

في المنام فقلت ايها الشيخ فقال دع التشيخ قلت تلك الاحوال التي شاهدتها
قال لم تغن عنا فقلت ما فعل الله بك قال غفر لي بمسايل كان يسال عنها
العجز ◦ وقال ابو بكر الرشيدي رايت محمد الطوسي المعلم في المنام
فقال لي قل لابي سعيد الصفار المودب

وكنا على ان لا نحول عن الهوى فقد وحياة الحب حلتم وما حلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت ازور قبره كل جمعة فلم ازره
هذه الجمعة ◦ وقال ابن راشد رايت ابن المبارك في النوم بعد موته
فقلت اليس قد مت فقال بلى قلت فما صنع بك ربك عز وجل قال غفر لي
مغفرة احاطت كل ذنب قلت فسفين الثوري قال بخ بخ ذلك مع
الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين الاية ◦ وقال الربيع بن
سليمان رايت الشافعي بعد وفاته في المنام فقلت يا ابا عبد الله
ما صنع الله بك قال اجلسني على كرسي من ذهب ونثر علي اللولو الرطب ◦
وراى رجل من اصحاب الحسن البصري ليلة مات الحسن كان مناديا
ينادي ان الله اصطفى ادم ونوحا وال ابرهيم وال عمران على العالمين
واصطفى الحسن البصري على اهل زمانه ◦ وقال ابو يعقوب
القاري الدقيقي رايت في منامي رجلا ادم طوالا والناس يتبعونه
فقلت من هذا قيل اويس القرني فاتبعته فقلت اوصني رحمك الله
فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني ارشدك الله فاقبل
علي فقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر نقمته عند معصيته

ولا تقطع رجاك منه في خلال ذلك ثم ولى وتركني ◦ وقال ابو بكر
بن ابي مريم رايت ورقا بن بشر الحضرمي فقلت ما فعلت يا ورقا فقال
نجوت بعد كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكا
من خشية الله تعالى ◦ وقال يزيد بن نعامة هلكت جارية في الطاعون
الجارف فراها ابوها في المنام فقال لها يا بنية اخبريني عن الاخرة
فقالت يا ابه قدمنا على امر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون
والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان في فسحة عملي
احب الي من الدنيا وما فيها ◦ وقال بعض اصحاب عتبة الغلام
رايت عتبة في المنام فقلت ما صنع الله بك قال دخلت الجنة بتلك
دعاء عتبة الغلام الدعوة المكتوبة في بيتك فلما اصبحت جيت الى بيتي فاذا خط عتبة
الغلام في حايط البيت مكتوب يا هادي المضلين ويا راحم المذنبين
ويا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين
كلهم اجمعين واجعلنا مع الاحيا المرزوقين الذين انعمت عليهم
من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين امين رب العالمين ◦
وقال موسى بن حماد رايت سفين الثوري في الجنة يطير من نخلة
الى نخلة ومن شجرة الى شجرة فقلت يا عبد الله بما نلت هذا فقال
بالورع قلت فما بال علي بن عاصم قال ذاك لا يكاد يرى الا كما
يرى الكوكب ◦ وراى رجل من التابعين النبي عليه السلام في المنام
فقال يا رسول الله عظني قال نعم من لم يتفقد النقصان فهو في نقصان

ومن كان في نقصان فالموت خير له ❊ وقال الشافعي رضي الله عنه
دهمني في هذه الايام امر امضني وآلمني ولم يطلع عليه غير الله تعالى
فلما كان البارحة اتاني آت في منامي فقال يا محمد بن ادريس قل اللهم
اني لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حيوة ولا نشورا ولا استطيع
ان اخذ الا ما اعطيتني ولا اتقي الا ما وقيتني اللهم فوفقني لما تحب
وترضى من القول والعمل في عافية فلما اصبحت اعدت ذلك فلما ترجل
النهار اعطاني الله تعالى طلبتي وسهل لي الخلاص مما كنت فيه
فعليكم بهذه الدعوات لا تغفلوا عنها ❊ فهذه جملة من المكاشفات
تدل على احوال الموتى وعلى الاعمال المقربة الى الله تعالى زلفى فلنذكر
بعد هذا ما بين يدي الموتى من ابتداء نفخة الصور الى آخر القرار اما
في الجنة او في النار ❊

الشطر الثاني من الكتاب

في احوال الميت من وقت نفخة الصور الى آخر الاستقرار في الجنة
او النار وتفصيل ما بين يديه من الاهوال والاخطار وفيه بيان نفخة
الصور وصفة ارض المحشر واهله وصفة عرق اهل المحشر وصفة
طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودواهيها واساميها
وصفة المسائلة عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الخصماء
ورد المظالم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الحوض
وصفة جهنم واهوالها وانكالها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة

واصناف نعيمها وعدد الجنان وابوابها وغرفها وحيطانها وانهارها
واشجارها ولباس اهلها وفرشهم وسررهم وصفة طعامهم
وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر الى الله تعالى وباب
في سعة رحمة الله تعالى به نختم الكتاب ان شا الله تعالى ❊

صفة نفخة الصور

قد عرفت بما سبق شدة احوال الميت في سكرات الموت وخطره في خوف
الخاتمة ثم مقاساته لظلمة القبر وديدانه ثم لمنكر ونكير وسوالهما
ثم لعذاب القبر وخطره ان كان مغضوبا عليه واعظم من ذلك كله
الاخطار التي بين يديه من نفخة الصور والبعث يوم النشور والعرض
على الجبار والسوال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير
ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء
اما بالاسعاد واما بالاشقاء فهذه احوال واهوال لا بد لك من معرفتها
ثم الايمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فيها لينبعث
من قلبك دواعي الاستعداد لها واكثر الناس لم يدخل الايمان باليوم
الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويدا افيدتهم ويدل على ذلك
شدة تشمرهم واستعدادهم لحر الصيف وبرد الشتاء وتهاونهم
بحر جهنم وزمهريرها مع ما يكتنفه من المصاعب والاهوال بل
اذا سيلوا عن اليوم الآخر نطقت به السنتهم ثم غفلت عنه
قلوبهم ومن اخبر بان ما بين يديه من الطعام مسموم فقال لصاحبه

الذي اخبره صدقت ثم مد اليد لتناوله كان مصدقا بلسانه ومكذبا
بعمله وتكذيب العمل ابلغ من تكذيب اللسان وقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم قال الله تعالى شتمني ابن ادم وما ينبغي له ان يشتمني وكذبني
وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي فيقول ان لي ولدا واما تكذيبه
فقوله لن يعيدني كما بداني ❊ وانما قصور البواطن عن قوة اليقين
والتصديق بالبعث والنشور لقلة الفهم في هذا العالم لامثال
تلك الامور ولو لم يشاهد الانسان توالد الحيوانات وقيل له ان صانعا
يصنع من النطفة القذرة مثل هذا الادمي المصور العاقل المتكلم
المتصرف لاشتد نفور باطنه عن التصديق به ولذلك قال تعالى
اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وقال
ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى
ففي خلق الادمي مع كثرة عجايبه واختلاف تركيب اعضايه
اعاجيب تزيد على الاعاجيب في بعثه واعادته فكيف ينكر
ذلك من قدرة الله وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته
فان كان في ايمانك ضعف فقو الايمان بالنظر في النشاة الاولى
فان الثانية مثلها واسهل منها وان كنت قوي الايمان بها فاشعر
قلبك تلك المخاوف والاخطار واكثر فيها التفكر والاعتبار
ليسلب عن قلبك الراحة والقرار فتشتغل بالتشمير للعرض
على الجبار وتفكر اولا فيما يقرع سمع سكان القبور من شدة نفخة الصور

فاما

تصديقا لقوله تعالى فوربك لنحشرنهم والشياطين ثم لنحضرنهم
حول جهنم جثيا فتفكر في حالك وحال قلبك هنالك ❊

صفة ارض المحشر واهله

ثم انظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة الى ارض
المحشر ارض بيضا قاع صفصف لا ترى فيها عوجا ولا امتا ولا ترى
عليها ربوة يختفي الانسان ورآها ولا وهدة تنخفض عن الاعين فيها
بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون اليه زمرا فسبحان
من جمع الخلايق على اختلاف اصنافهم من اقطار الارض اذ ساقهم
بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة
هي الثانية وحقيق لتلك القلوب ان تكون يومئذ راجفة ولتلك
الابصار ان تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
تحشر الناس يوم القيامة على ارض بيضا عفرا كقرصة النقي ليس
فيها معلم لاحد قال الراوي والعفرة بياض ليس بالناصع والنقي
هو النقي عن القشر والنخالة ولا معلم اي لا بنا يستر ولا تفاوت يرد
البصر ولا تظنن ان تلك الارض مثل ارض الدنيا بل لا تساويها الا في
الاسم قال تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات قال
ابن عباس يزاد فيها وينقص وتذهب اشجارها وجبالها واوديتها
وما فيها وتمد مد الاديم العكاظي ارض بيضا مثل الفضة لم يسفك
عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسموات تذهب شمسها وقمرها

وجوهها فانظر يا مسكين في هول ذلك اليوم وشدته فانه اذا اجتمع الخلايق
على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السما وطمست الشمس والقمر
واظلمت الارض لخمود سراجها فبينما انت كذلك اذ دارت السما من فوق
رووسهم وانشقت مع غلظها وشدتها خمس مائة عام والملائكة قيام
على حافاتها وارجايها فيا هول صوت انشقاقها في سمعك ويا هيبة ليوم
تنشق فيه السما مع صلابتها وشدتها ثم تنهار وتسيل كالفضة المذابة
تخالطها صفاره فصارت وردة كالدهان وصارت الجبال كالعهن
وبقيت الناس كالفراش المبثوث وهم عراة حفاة مشاة قال
رسول الله صلعم يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد الجمهم العرق وبلغ
شحوم الاذان قالت سودة زوج رسول الله صلعم راوية الحديث
قلت يا رسول الله واسوتاه ينظر بعضنا الى بعض فقال شغل الناس
عن ذلك لكل امري منهم يوميذ شان يغنيه فاعظم بيوم تنكشف
فيه العورات ويومن فيه مع ذلك من النظر والالتفات كيف وبعضهم
يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات
الى غيرهم قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه يحشر الناس
يوم القيامة ثلثة اصناف مشاة وركبانا وعلى وجوههم فقال
رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم قال الذي امشاهم
على اقدامهم قادر ان يمشيهم على وجوههم وفي طبع الادمي
انكار كلما لم يانس به ولو لم يشاهد الانسان الحية وهي تمشي على بطنها

كالبرق الخاطف لانكر تصور المشي من غير رجل والمشي بالرجل ايضا مستبعد
عند من لم يشاهد ذلك فاياك ان تنكر شيا من عجايب يوم القيامة لمخالفته
قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت عجايب الدنيا ثم عرضت عليك
قبل المشاهدة لكنت اشد انكارا لها فاحضر في قلبك صورتك وانت
واقف عاريا مكشوفا ذليلا مدحورا متحيرا مبهوتا تنتظر ما يجري عليك
من القضا بالسعادة او بالشقاوة واعظم هذه الحالة فانها عظيمة

صفة العرق

ثم تفكر في ازدحام الخلايق واجتماعهم حتى ازدحم على الموقف
اهل السموات السبع والارضين السبع من ملك وجن وانس وشيطان
ووحش وسبع وطاير فاشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها
وتبدلت عما كانت عليه من خفة امرها ثم ادنيت من رووس الخلايق
قاب قوسين فلم يبق على الارض ظل الا ظل عرش رب العالمين ولم يمكن
من الاستظلال به الا المقربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضحى
لحر الشمس قد صهرته بحرها واشتد كربه وغمه من وهجها ثم تدافعت
الخلايق ودفع بعضهم بعضا لشدة الزحام واختلاف الاقدام
وانضاف اليه شدة الخجلة والحيا من الافتضاح والاخزا عند العرض
على جبار السما فاجتمع وهج الشمس وحر الانفاس واحتراق القلوب
بنار الحيا والخوف ففاض العرق من اصل كل شعرة حتى سال
على صعيد القيامة ثم ارتفعت الى ابدانهم على قدر منازلهم عند الله

[stamp]

فبعضهم يبلغ العرق ركبتيه وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه
وبعضهم كاد يغيب فيه قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب احدهم في رشحه الى انصاف
اذنيه وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرق الناس
يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويلجمهم ويبلغ
اذانهم كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث اخر قياما
شاخصة ابصارهم اربعين سنة الى السما فيلجمهم العرق من شدة
الكرب وقال عقبة بن عامر قال رسول الله صلعم تدنو الشمس من الارض
يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم
من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ فخذه
ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه فاشار بيده فالجمها فاه
ومنهم من يغطيه عرقه وضرب بيده على راسه هكذا فتامل
يا مسكين في عرق اهل المحشر وشدة كربهم وان فيهم من ينادي
ويقول يا رب ارحني من هذا الكرب والانتظار ولو الى النار وكل ذلك
ولم يلقوا بعد حسابا ولا عقابا فانك واحد منهم ولا تدري الى اين
يبلغ بك العرق واعلم ان كل عرق لم يخرجه التعب في سبيل الله
من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضا حاجة مسلم وتحمل
مشقة في امر بمعروف فسيستخرجه الحيا والخوف في صعيد القيامة
ويطول فيه الكرب ولو سلم ابن ادم من الجهل والغرور لعلم ان تعب

العرق في تحمل مصاعب الطاعات اهون امرا واقصر زمانا من عرق
الكرب والانتظار في القيامة فانه يوم عظيم شدته طويل مدته

صفة طول يوم القيامة

يوم يقف فيه الخلايق شاخصة ابصارهم منفطرة قلوبهم لا يكلمون
ولا ينظر في امورهم يقفون ثلث مائة عام لا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون
فيه شربة ولا روح نسيم قال كعب وقتاده يوم يقوم الناس لرب
العالمين قال يقومون مقدار ثلث مائة عام قال عبد الله بن عمر
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية ثم قال كيف بكم اذا جمعكم الله
كما يجمع النبل في الكنانة خمسين الف سنة لا ينظر اليكم وقال
الحسن ما ظنك بقوم قاموا فيه على اقدامهم خمسين الف سنة لم ياكلوا
فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى اذا انقطعت اعناقهم عطشا
واحترقت اجوافهم جوعا انصرف بهم الى النار فسقوا من عين انية
قد ان حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم ما لا طاقة لهم به كلم
بعضهم بعضا في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حقهم فلم يتعلقوا
بنبي الا دفعهم وقال دعوني نفسي نفسي شغلني امري عن امر غيري
واعتذر كل واحد بشدة غضب الله وقالوا قد غضب ربنا اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله
عليه وسلم لمن يوذن له فيه لا يملكون الشفاعة الا لمن اذن له الرحمن
ورضي له قولا فتامل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى

يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصي في عمرك المختصر واعلم ان من طال
انتظاره في الدنيا للموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات
فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسي بيده انه ليخفف
على المومن حتى يكون عليه اهون من الصلاة المكتوبة يصليها في الدنيا
فاجتهد ان تكون من اولئك المومنين فما دام يبقى لك نفس من عمرك
فالامر اليك والاستعداد بيديك فاعمل في ايام قصار لايام طوال
تربح ربحا لا منتهى لسروره ولا تستحقر عمرك بل عمر الدنيا وهو سبعة
الف سنة فانك لو صبرت سبعة الف سنة مثلا لتتخلص من يوم
مقداره خمسون الف سنة لكان ربحك كثيرا ونفعك يسيرا

صفة يوم القيامة ودواهيه واساميه

فاستعد يا مسكين لهذا اليوم العظيم شانه المديد زمانه القاهر
سلطانه القريب اوانه يوم ترى السماء فيه قد انفطرت والكواكب
من هوله قد انتثرت والنجوم الزواهر قد انكدرت والشمس قد
كورت والجبال قد سيرت والعشار قد عطلت والوحوش قد حشرت
والبحار قد سجرت والنفوس الى الابدان قد زوجت والجحيم قد سعرت
والجنة قد ازلفت والجبال قد نسفت والارض قد مدت يوم ترى الارض
قد زلزلت فيه زلزالها واخرجت الارض اثقالها يومئذ يصدر
الناس اشتاتا ليروا اعمالهم يوم تحمل فيه الارض والجبال فدكتا دكة

واحدة فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية
والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون
لا تخفى منكم خافية يوم تسير الجبال وترى الارض بارزة يوم ترجف
فيه الارض رجا وتبس الجبال بسا فكانت هباء منبثا يوم يكون الناس
كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعهن المنفوش يوم تذهل فيه
كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى
وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد يوم تبدل الارض غير الارض
والسموات وبرزوا لله الواحد القهار يوم تنسف فيه الجبال
نسفا فتترك قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا يوم ترى
الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب يوم تنشق فيه السماء
فكانت وردة كالدهان فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان يوم
يمنع العصاة فيه من الكلام ولا يسئل فيه عن الاجرام بل
يوخذ بالنواصي والاقدام يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم تعلم فيه كل نفس
ما احضرت وتشهد ما قدمت واخرت يوم تخرس فيه الالسن
وتنطق فيه الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين اذ قال
له الصديق اراك قد شبت فقال شيبتني هود والواقعة والمرسلات
وعم يتساءلون واذا الشمس كورت فيا ايها القارئ العاجز انما حظك
من هذا انك تمجمج القران وتحرك به اللسان ولو كنت متفكرا

ما يبكيك يا عايشة قالت ذكرت الاخرة هل تذكرون اهليكم يوم القيامة
فقال والذي نفسي بيده في ثلث مواطن فان احدا لا يذكر الا نفسه
اذا وضعت الموازين ووزنت الاعمال حتى ينظر ابن ادم ايخف ميزانه
ام يثقل وعند الصحيفة حتى ينظر ايمينه ياخذ كتابه او بشماله وعند
الصراط م وعن انس قال يوتى بابن ادم يوم القيمة حتى يوقف بين كفتي
الميزان ويوكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع
الخلايق سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها ابدا وان خف ميزانه
نادى بصوت يسمع الخلايق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها
ابدا وعند خفة كفة الحسنات تقبل الزبانية وبايديهم مقامع من
حديد عليهم ثياب من النار فياخذون نصيب النار الى النار قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة انه يوم ينادي الله
تعالى فيه ادم فيقول قم فابعث بعث النار فيقول كم بعث
النار فيقول من كل الف تسع مائة وتسع وتسعون في النار وواحد
في الجنة فلما سمعوا الصحابة ذلك ابلسوا حتى ما اوضحوا بضاحكة
فلما راى النبي صلى الله عليه وسلم الذي عند اصحابه قال اعملوا وابشروا
فوالذي نفس محمد بيده ان معكم لخليقتين ما كانتا مع احد قط
الا كثرتاه مع من هلك من بني ادم وبني ابليس فقالوا وما هما يا نبي الله
قال ياجوج وماجوج قال فسري عن القوم فقال اعملوا وابشروا
فوالذي نفس محمد بيده ما انتم في الناس يوم القيمة الا كالشامة

في جنب البعير او كالرقمة في ذراع الدابة ع

صفة الخصماء ورد المظالم

فقد عرفت هول الميزان وخطره وان الاعين شاخصة الى لسان الميزان
فمن ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية ومن خفت موازينه فامه
هاوية وما ادراك ماهيه نار حامية واعلم انه لا ينجو من خطر الحساب
والميزان الا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بميزان الشرع اعماله
واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه
ان يتوب من كل معصية توبة نصوحا ويتدارك ما فرط من تقصير ٥
في فرايض الله ويرد المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من
تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه ويطيب قلوبهم
حتى يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير
حساب وان مات قبل رد المظالم احاطت به خصماوه فهذا ياخذ
بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بتلبيبه هذا يقول
ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزات بي وهذا يقول
ذكرتني في الغيبة بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فاسات جواري
وهذا يقول عاملتني فغششتني وهذا يقول بايعتني فغبنتني
واخفيت عني عيب متاعك وهذا يقول كذبت في سعر متاعك
وهذا يقول رايتني محتاجا وكنت غنيا فما اطعمتني وهذا يقول

وجدتني مظلوما وكنت قادرا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما أعنتني
فبينا أنت كذلك وقد انشب الخصماء فيك مخاليبهم واحكموا في تلابيبك
أيديهم وأنت مبهوت متحير من كثرتهم حتى لم يبق أحد عاملته
في عمرك على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلمة
بغيبة أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم
ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخلصك من أيديهم إذ قرع
سمعك نداء الجبار اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم فعند ذلك
ينخلع قلبك من الهيبة وتوقن نفسك بالبوار وتتذكر ما انذرك الله تعالى
به على لسان رسوله صلى الله عليه حيث قال ولا تحسبن الله غافلا
عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الا[illegible] مهطعين
مقنعي رؤوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وافئد[illegible] فما أشد
فرحك اليوم بتمضمضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد
حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف بك على بساط العدل وشوفهت
بخطاب السياسة وأنت مفلس فقير عاجز مهين لا تقدر على أن ترد
حقا أو تظهر عذرا فعند ذلك تؤخذ حسناتك التي تعبت فيها
عمرك وتنقل إلى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال أبو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تدرون من المفلس فقالوا المفلس
فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع فقال المفلس من أمتي من يأتي
يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف

هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته
وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من
خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار فانظر إلى مصيبتك في
مثل هذا اليوم إذ ليس تسلم لك حسنة من آفات الرياء ومكايد الشيطان
فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدرها خصماؤك وأخذوها
ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل
لعلمت أنه لا ينقضي عنك يوم إلا ويجري على لسانك من غيبة المسلمين
ما يستوفي جميع حسناتك فكيف ببقية السيئات من أكل الحرام
والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من المظالم
في يوم يقتص فيه للجماء من القرناء فعن أبي ذر أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم رأى شاتين ينتطحان فقال يا أبا ذر أتدري فيم ينتطحان
قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضي بينهما يوم القيامة وقال
أبو هريرة في قوله عز وجل وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه
إلا أمم أمثالكم أنه يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب
والطير وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجماء من القرناء
ثم يقول كوني ترابا فذلك حين يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا
فكيف أنت يا مسكين يوم ترى صحيفتك خالية من حسنات طال
فيها تعبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت إلى صحيفة خصمائك
وترى صحيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصبك واشتد

بسبب الكف عنها عناؤك فتقول يا رب هذه سيئات ما اقترفتها قط
فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء
وظلمتهم في المبايعة والمجاورة والمخاطبة والمناظرة والمذاكرة والمدارسة
وسائر أصناف المعاملة قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى
منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهي الموبقات فاتقوا الظلم ما استطعتم
فإن العبد ليجيء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فيرى أنهن
ستنجيه فما يزال عبد يجيء فيقول يا رب إن فلانا ظلمني بمظلمة
فيقول امح من حسناته فما يزال كذلك حتى ما يبقى له من حسناته شيء
وإن مثل ذلك مثل سفر نزلوا بفلاة من الأرض ليس معهم حطب
فتفرق القوم ليحتطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا
وكذلك الذنوب ولما نزل قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون ثم
إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله
أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال نعم ليكررن عليكم
حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه فقال الزبير والله إن الأمر لشديد
فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لطمة ولا عن
كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله
صلى الله عليه يقول يحشر الله العباد عراة غرلا بهما قال قلنا
ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم بصوت يسمعه من بعد

كما يسمعه من قرب أنا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل
الجنة ولأحد من أهل النار عنده مظلمة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل
النار ولأحد من أهل الجنة عنده مظلمة حتى اللطمة قلنا وكيف
وإنما نأتي عراة غرلا بهما فقال بالحسنات والسيئات فاتقوا الله
عباد الله مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق
قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فإن ما بين العبد وبين الله خاصة
فالمغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر
عليه استحلال أرباب المظالم فليكثر من الحسنات ليوم القصاص
وليسر بعض الحسنات بينه وبين الله بكمال الإخلاص بحيث لا يطلع
عليه إلا الله فعساه يقربه ذلك إلى الله فينال به لطفه الذي
ادخره لأحبائه المؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روي عن
أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال بينا رسول الله
جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما أضحكك
يا رسول الله بأبي أنت وأمي قال رجلان جثيا من أمتي بين يدي
رب العزة فقال أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي فقال الله
تعالى أعط أخاك مظلمته فيقول يا رب لم يبق من حسناتي شيء
فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته شيء
قال يا رب فليحمل عني من أوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى
بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس أن يحمل

عنهم من اوزارهم قال فقال الله تعالى للطالب ارفع راسك فانظر
في الجنان فرفع راسه فقال يا رب ارى مداين من فضة مرتفعة وقصورا
من ذهب مكللة باللؤلؤ لاي نبي هذا او لاي صديق هذا او لاي شهيد
هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال انت تملكه قال وما هو
قال عفوك عن اخيك قال يا رب اني قد عفوت عنه فقال الله تعالى
خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال صلى الله عليه عند ذلك اتقوا الله
واصلحوا ذات بينكم فان الله يصلح بين المومنين مع وهذا تنبيه
على ان ذلك انما ينال بالتخلق باخلاق الله وهو اصلاح ذات البين
وساير الاخلاق فتفكر الان في نفسك ان خلت صحيفتك من
المظالم او لطف لك حتى عفي عنك وايقنت بسعادة الابد كيف يكون
سرورك في منقلبك من منفصل القضا وقد خلع عليك خلعة الرضا
وعدت بسعادة ليس بعدها شقا وبنعيم لا يدور بحواشيه
الفنا وعند ذلك طار قلبك سرورا وفرحا وابيض وجهك واستنار
واشرق كما يشرق القمر ليلة البدر فتوهم تبخترك بين الخلايق
رافعا راسك خاليا من الاوزار ظهرك ونضرة نسيم النعيم وبرد الرضا
يتلالا من جبينك وخلق الاولين والاخرين ينظرون اليك والى حالك
ويغبطونك على حسنك وجمالك والملايكة يمشون بين يديك
ومن خلفك وينادون على رووس الاشهاد هذا فلان بن فلان
رضي الله عنه وارضاه وقد سعد سعادة لا يشقى بعدها

ابدا

ابدا افترى ان هذا المنصب ليس باعظم من المكانة التي تنالها في قلوب
الخلق بريايك ومداهنتك وتصنعك وتزينك فان كنت تعلم انه خير منه
بل لا نسبة له اليه فتوسل الى ادراك هذه الرتبة بالاخلاص الصافي
والنية الصادقة في معاملتك مع الله تعالى فلن تدرك ذلك الا به
وان تكن الاخرى والعياذ بالله بان خرجت من صحيفتك جريمة
كنت تحسبها هينة وهي عند الله عظيم فمقتك لاجلها فقال
عليك لعنتي يا عبد السو لا اتقبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء
الا ويسود وجهك ثم تغضب الملايكة لغضب الله تعالى فيقولون
وعليك لعنتنا ولعنة الخلايق اجمعين وعند ذلك تتسارع الزبانية
وقد غضبت لغضب خالقها فاقدمت عليك بفظاظتها وزعارتها
وصورها المنكرة فاخذوا بناصيتك يسحبونك على وجهك على
ملا الخلق وهم ينظرون الى سواد وجهك والى ظهور خزيك وانت
تنادي بالويل والثبور وهم يقولون لك لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا
وادعوا ثبورا كثيرا وتنادي الملايكة ويقولون هذا فلان بن فلان
كشف الله عن فضايحه ومخازيه ولعنه بقبايح مساويه فشقي شقاوة
لا يسعد بعدها ابدا وربما يكون ذلك بذنب اذنبته خيفة من عباد
الله او طلبا للمكانة في قلوبهم او خوفا من الافتضاح عندهم
فما اعظم جهلك اذ تحترز عن الافتضاح عند طايفة يسيرة
من عباد الله في الدنيا المنقرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم

في ذلك الملا العظيم مع التعرض لسخط الله وعقابه الاليم والسياق
بايدي الزبانية الى سوا الجحيم فهذه احوالك وانت بعد لم تشعر بالخطر
الاعظم وهو خطر الصراط

صفة الصراط

ثم تفكر بعد هذه الاهوال في قول الله تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا وفي قوله تعالى فاهدوهم الى صراط
الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون فالناس بعد هذه الاهوال يساقون
الى الصراط وهو جسر ممدود على متن النار احد من السيف وارق
من الشعر فمن استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على
صراط الاخرة ونجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا واثقل ظهره
بالاوزار وعصى تعثر في اول قدم من الصراط وتردى فتفكر الان
فيما يحل بك من الفزع بفوادك اذا رايت الصراط ودقته ثم وقع
بصرك على سواد جهنم من تحته ثم قرع سمعك شهيق النار
وتغيظها وقد كلفت ان تمشي على الصراط مع ضعف حالك واضطراب
قلبك وتزلزل قدمك وثقل ظهرك بالاوزار المانعة لك عن المشي على
بساط الارض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك اذا وضعت عليه
احدى رجليك فاحسست بحدته واضطررت الى ان ترفع القدم
الثاني والخلايق بين يديك يزلون ويتعثرون وتتناولهم زبانية
النار بالخطاطيف والكلاليب وانت تنظر اليهم كيف يتنكسون

الشديد

الشديد ويسوقونه الى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم
ويقولون له ذق انك انت العزيز الكريم فاسكنوا دارا ضيقة الارجا
مظلمة المسالك مبهمة المهالك يخلد فيها الاسير ويوقد فيها السعير
شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والويل
جمعهم امانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت اقدامهم
الى النواصي واسودت وجوههم من ظلمة المعاصي ينادون من اكنافها
ويصيحون في نواحيها واطرافها يا مالك قد حق علينا الوعيد يا مالك
قد اثقلنا الحديد يا مالك قد نضجت منا الجلود يا مالك اخرجنا
منها فانا لا نعود فتقول الزبانية هيهات لات حين امان
ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسئوا فيها ولا تكلمون ولو اخرجتم
منها لكنتم الى ما نهيتم عنه عايدون فعند ذلك يقنطون
وعلى ما فرطوا في جنب الله يتاسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم
الاسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار
من تحتهم والنار عن ايمانهم وعن شمايلهم فهم غرقى في النار
طعامهم نار وشرابهم نار ولباسهم نار ومهادهم نار فهم بين مقطعات
النيران وسرابيل القطران وضرب المقامع وثقل السلاسل
فهم يتجلجلون في مضايقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون
بين غواشيها تغلي بهم النيران كغلي القدور ويهتفون بالويل
والثبور ومهما دعوا بالويل والثبور صب من فوق رؤوسهم الحميم

يصهر به ما في بطونهم والجلود ولهم مقامع من حديد ويهشم بها جباههم
فيتفجر الصديد من افواههم وتتقطع من العطش اكبادهم وتسيل على
الخدود احداقهم ويسقط من الوجنات لحومها ويتمعط من الاطراف
شعورها بل جلودها وكلما نضجت جلودهم بدلوا جلودا غيرها
وعريت من اللحم عظامهم فبقيت الارواح منوطة بالعروق وعلائق
العصب وهي تنش في لفح تلك النيران وهم مع ذلك يتمنون الموت
فلا يموتون فكيف بك لو نظرت اليهم وقد سودت وجوههم
اشد سوادا من الحميم واعميت ابصارهم وابكمت السنتهم وقصمت
ظهورهم وكسرت عظامهم وجدعت آذانهم ومزقت جلودهم
وغلت ايديهم الى اعناقهم وجمعت بين نواصيهم واقدامهم
وهم يمشون على النار بوجوههم ويطؤون حسك الحديد باحداقهم
فلهيب النار سارية لاجزائهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة
بظواهر اعضائهم هذه جملة احوالهم فانظر الآن
في تفصيل اهوالهم وتفكر اولا في اودية جهنم وشعبها فقد قال
النبي صلى الله عليه ان في جهنم سبعين الف واد في كل واد
سبعون الف شعب في كل شعب سبعون الف ثعبان
وسبعون الف عقرب لا ينتهي الكافر والمنافق حتى يواقع ذلك
كله ه وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم تعوذوا بالله من جب الحزن او وادي الحزن قيل يا رسول الله

وما

وما وادي الحزن او جب الحزن قال واد في جهنم تتعوذ منه جهنم
في كل يوم سبعين مرة اعده الله للقراء المرائين ه فهذه سعة جهنم
وانشعاب اوديتها وهي بحسب عدد اودية الدنيا وشهواتها وعدد
ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها يعصي العبد بعضها فوق
بعض الاعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجحيم
ثم الهاوية فانظر الآن الى عمق الهاوية فانه لا حد لعمقها
كما لا حد لعمق شهوات الدنيا فكما لا ينتهي ارب من الدنيا الا الى
ارب اعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم الا الى هاوية اعمق منها
قال ابو هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا
وجبة فقال صلى الله عليه اتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله
اعلم قال هذا حجر ارسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن حين انتهى
الى قعرها ه ثم انظر الى تفاوت الدركات فان الآخرة اكبر درجات
واكبر تفضيلا فكما ان اكباب الناس على الدنيا متفاوت فمن منهمك
مستكثر كالغريق فيها ومن خائض فيها الى حد محدود فكذلك
تناول النار لهم متفاوت فان الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف
انواع العذاب على كل من في النار كيف كان بل لكل واحد حد معلوم
على قدر عصيانه وذنبه الا ان اقلهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا
بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان ادنى اهل النار عذابا يوم القيمة ينتعل بنعلين من نار يغلي

دماغه من حرارة نعليه ه فانظر الآن من خفف عليه واعتبر به من شدد
عليه ومهما شككت في شدة عذاب النار فقرب اصبعك من النار
وقس ذلك به ثم اعلم انك اخطات في القياس فان نار الدنيا لا تناسب
نار جهنم ولكن لما كان اشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف
عذاب جهنم بها وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها
طائعين هربا مما هم فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار حيث قيل
ان نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل
الدنيا بل صرح رسول الله صلى الله عليه بصفة نار جهنم فقال
اوقدت النار الف سنة حتى احمرت ثم اوقد عليها الف سنة حتى
ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة
وقال صلى الله عليه وسلم اشتكت النار الى ربها فقالت يا رب
اكل بعضي بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف
اشارة الى ان حر الشمس وزمهرير الشتاء من نفسها وقال انس بن مالك
يؤتى بانعم الناس في الدنيا من الكفار فيقال اغمسوه في النار غمسة
ثم يقال له هل رايت نعيما قط فيقول لا ويؤتى باشد الناس ضرا فيقال
اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال هل رايت ضرا قط فيقول لا ه
وقال ابو هريرة لو كان في المسجد مائة الف او يزيدون ثم تنفس رجل
من اهل النار لماتوا ه وقال بعض العلماء في قوله تعالى تلفح وجوههم
النار انها لفحتهم لفحة واحدة فما ابقت لحما على عظم الا القته

فتسلك

فتسلك الى جهة النار رؤوسهم وتعلوا ارجلهم فيا له من منظر
ما افظعه ومرتقى ما اصعبه ومجاز ما اضيقه فانظر الى حالك وانت
تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا
وشمالا الى الخلق وهم يتهافتون في النار والرسول عليه السلام يقول
يا رب سلم سلم والزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر
جهنم لكثرة من يزل عن الصراط من الخلائق فكيف بك لو زلت قدمك
ولم ينفعك ندمك وقلت واويلاه هذا ما كنت اخافه فيا ليتني قدمت
لحياتي يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتا ليتني لم اتخذ فلانا
خليلا يا ليتني كنت ترابا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت امي لم تلدني
وعند ذلك تختطفك النيران والعياذ بالله وينادي المنادي اخسئوا
فيها ولا تكلمون فلا يبقى سبيل الا الصياح والانين والتنفس والا
ستغاثة فكيف ترى الآن عقلك وهذه الاخطار بين يديك فان كنت
غير مؤمن به فما اطول مقامك مع الكفار في دركات جهنم وان كنت به
مؤمنا عنه غافلا وبالاستعداد له متهاونا فما اعظم خسرانك وطغيانك
وماذا ينفعك ايمانك اذ لم يبعثك على السعي في طلب رضا الله
بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك الا هول الصراط وارتياع
قلبك من خطر الجواز وان سلمت فناهيك به هولا وفزعا ورعبا
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يضرب الصراط بين ظهري جهنم
فاكون اول من يجوز بامتي من الرسل ولا يتكلم يومئذ الا الرسل

ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاليب مثل
شوك السعدان هل رأيتم شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال
فانها مثل شوك السعدان غير انه لا يعلم قدر عظمها الا الله تعالى
تخطف الناس باعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخردل
ثم ينجو قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يمر الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلاليب وخطاطيف
تخطف الناس يمينا وشمالا وعلى جنبتيه ملائكة يقولون اللهم سلم
سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم
من يمر كالفرس ومنهم من يسعى سعيا ومنهم من يمشي مشيا ومنهم
من يحبو حبوا ومنهم من يزحف زحفا فاما اهل النار
الذين هم اهلها فلا يموتون ولا يحيون واما ناس فيؤخذون بذنوب
وخطايا فيحترقون فيكونون فحما ثم يؤذن في الشفاعة الى آخر
الحديث وعن ابن مسعود انه قال يجمع الله الاولين والآخرين
لميقات يوم معلوم قياما اربعين سنة شاخصة ابصارهم الى السما
ينتظرون فصل القضا وذكر الحديث الى ذكر سجود المؤمنين قال
ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم
على قدر اعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسعى
بين يديه ومنهم من يعطى نورا اصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره
مثل النخلة بيمينه ومنهم من يعطى اصغر من ذلك حتى يكون آخرهم

رجلا

رجلا يعطى نوره على ابهام قدمه فيضي مرة ويطفى مرة فاذا اضا قدم
قدمه فمشى واذا طفى قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم
فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر
كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب ومنهم من يمر كشد
الفرس ومنهم من يمر كشد الرحل حتى يمر الذي اعطي نوره على ابهام
قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل
وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص
فاذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد اعطاني الله ما لم
يعط احدا اذ نجاني منها بعد اذ رايتها فينطلق به الى غدير عند
باب الجنة فيغتسل وقال انس بن مالك سمعت النبي صلى الله
عليه وسلم يقول الصراط كحد السيف وكحد الشعرة وان الملائكة
ينجون المؤمنين والمؤمنات وان جبريل عليه السلام لآخذ بحجزتي
واني لاقول يا رب سلم سلم فالزالون والزالات يومئذ كثير فهذه
اهوال الصراط وعظايمه فطول فيها فكرك فان اسلم الناس من
اهوال القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فان الله لا يجمع على عبد
خوفين فمن خاف هذه الاهوال في الدنيا امنها في الآخرة ولست
اعني بالخوف رقة كرقة النسا تدمع عينك ويرق قلبك حال
السماع ثم تنساه على القرب وتعود الى لهوك ولعبك فما ذلك من الخوف
في شي لان من خاف من شي هرب منه ومن رجا شيا طلبه فلا ينجيك

الا خوف يمنعك عن معاصي الله ويحثك على طاعته وابعد من رقة النسا
خوف الحمقى اذا سمعوا الاهوال سبقت الى السنتهم الاستعاذة فقالوا
استعنا بالله نعوذ بالله سلم سلم وهم مع ذلك مصرون على المعاصي
التي هي سبب هلاكهم فالشيطان يضحك من استعاذتهم كما يضحك
على من يقصده سبع ضاري في صحرا ووراه حصن فاذا راى انياب
السبع وصولته من بعد قال بلسانه اعوذ بهذا الحصن الحصين واستعين
بشدة بنيانه واحكام اركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه
فاني يغني ذلك عن السبع وكذلك اهوال الآخرة ليس لها حصن الا قول
لا اله الا الله صادقا ومعنى صدقه ان لا يكون لك مقصود سوى الله
ولا معبود سواه ومن اتخذ الهه هواه فهو بعيد عن الصدق في
توحيده وامره مخطر في نفسه فان عجزت عن ذلك كله فكن محبا
لرسول الله حريصا على تعظيم سنته ومتشوقا الى مراعاة قلوب
الصالحين من امته ومتبركا بادعيتهم فعساك تنال من شفاعته
او شفاعتهم فتنجو بالشفاعة ان كنت قليل البضاعة

صفة الشفاعة

اعلم انه اذا حق دخول النار على طوايف من المؤمنين فان الله تعالى
بفضله يقبل فيهم شفاعة الانبيا والصديقين بل شفاعة العلما
والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فان له شفاعة
في اهله وقرابته واصدقايه ومعارفه فكن حريصا على ان تكتسب

لنفسك

لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر ادميا اصلا فان الله
خبا ولايته في عباده فلعل الذي تزدريه عينك هو ولي الله ولا تستصغر
معصية اصلا فان الله خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه
ولا تستحقر طاعة اصلا فان الله خبا رضاه في طاعته فلعل رضاه فيه
ولو الكلمة الطيبة او اللقمة او النية الحسنة وما يجري مجراه
وشواهد الشفاعة في القران والاخبار كثير قال الله تعالى ولسوف
يعطيك ربك فترضى وروى عمرو بن العاص ان رسول الله صلعم
تلى قوله تعالى اخبارا عن ابرهيم عليه السلام رب انهن اضللن كثيرا
من الناس فمن تبعني فانه مني ومن عصاني فانك غفور رحيم وقول
عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك ثم رفع يديه وقال
امتي امتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب الى محمد
فاسله ما يبكيك فاتاه فساله فاخبره والله اعلم به فقال يا جبريل
اذهب الى محمد فقل له انا سنرضيك في امتك ولا نسوك وقال
صلى الله عليه وسلم اعطيت خمسا لم يعطهن احد قبلي نصرت بالرعب
مسيرة شهر واحلت لي الغنايم ولم تحل لاحد قبلي وجعلت لي الارض
مسجدا وترابها طهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلاة فليصل
واعطيت الشفاعة وكل نبي بعث الى قومه خاصة وبعثت الى
الناس عامة وقال صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيامة كنت
امام الناس وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير فخر وقال صلعم

انا سيد ولد ادم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع ومشفع
بيدي لوا الحمد تحته ادم فمن دونه وقال صلى الله عليه وسلم لكل
نبي دعوة مستجابة فاريد ان اختبي دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للانبيا منابر
من ذهب فيجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه كايما بين يدي ربي
منتصبا مخافة ان يبعث بي الى الجنة وتبقى امتي بعدي فاقول
يا رب امتي فيقول الله عز وجل يا محمد وما تريد ان اصنع بامتك فاقول
يا رب عجل حسابهم فما ازال اشفع حتى اعطى صكوكا برجال
قد بعث بهم الى النار وحتى ان مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت
للنار لغضب ربك في امتك من بقية وقال صلى الله عليه وسلم اني
لاشفع يوم القيامة لاكثر مما على وجه الارض من حجر ومدر وقال
ابو هريرة اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بلحم فرفع اليه الذراع
وكان يعجبه فنهس منه نهسة ثم قال انا سيد الناس يوم القيامة وهل
تدرون مم ذاك يجمع الله الناس الاولين والاخرين في صعيد واحد
يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم
والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض
الا ترون ما قد بلغكم الا تنظرون من يشفع لكم الى ربكم فيقول
بعض الناس لبعض عليكم بادم عليه السلام فياتون ادم فيقولون له
انت ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وامر الملايكة

فسجدوا

فسجدوا لك اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه الا ترى ما قد بلغنا فيقول
لهم ادم ان ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
بعده مثله ولن يغضب بعده مثله وانه قد نهاني عن الشجرة فعصيته
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح قال فياتون نوحا عليه
السلام فيقولون يا نوح انت اول الرسل الى اهل الارض وقد سماك الله
عبدا شكورا اشفع لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب
اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وانه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي
نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى ابرهيم خليل الرحمن فياتون
ابرهيم عليه السلام فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع
لنا الى ربك الا ترى ما نحن فيه فيقول لهم ان ربي غضب اليوم غضبا
لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله واني كنت كذبت ثلاث
كذبات وتذكرها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى موسى
فياتون موسى عليه السلام فيقولون يا موسى انت رسول الله فضلك
برسالته وبكلامه على الناس اشفع لنا الا ترى الى ما نحن فيه
فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب
بعده مثله واني قتلت نفسا لم اومر بقتلها نفسي نفسي اذهبوا الى غيري
اذهبوا الى عيسى فياتون عيسى عليه السلام فيقولون يا عيسى انت
رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وكلمت الناس في المهد
اشفع لنا الا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى ان ربي غضب اليوم غضبا

لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذكر ذنبا نفسي نفسي
اذهبوا الى غيري اذهبوا الى محمد فيقولون يا محمد انت رسول الله
وخاتم النبيين وغفر الله ما تقدم من ذنبك وما تاخر اشفع لنا الى ربك
الا ترى ما نحن فيه فانطلق فاتي تحت العرش فاقع ساجدا لربي ثم يفتح الله علي
من محامده وحسن الثنا عليه شيا لم يفتحه على احد قبلي ثم قال يا محمد
ارفع راسك سل تعطه واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي امتي
يا رب فيقال يا محمد ادخل من امتك من لا حساب عليهم من الباب الايمن
من ابواب الجنة وهم شركا الناس فيما سوى ذلك من الابواب ثم قال
والذي نفسي بيده ان بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة
وهجر وكما بين مكة وبصرى هو في حديث اخر هذا السياق بعينه
مع ذكر خطايا ابرهيم وهو قوله في الكوكب هذا ربي وقوله لالهتهم
بل فعله كبيرهم هذا وقوله اني سقيم ... فهذه شفاعة
رسول الله عليه السلام ولاحاد امته من العلما والصالحين شفاعة ايضا
قال رسول الله عليه السلام يدخل الجنة بشفاعة رجل من امتي
اكثر من ربيعة ومضر وقال صلى الله عليه وسلم يقال للرجل قم يا فلان
فاشفع فيقوم الرجل فيشفع للقبيلة ولاهل البيت وللرجل وللرجلين
على قدر عمله وقال انس قال رسول الله صلعم ان رجلا من اهل
الجنة يشرف يوم القيامة على اهل النار فيناديه رجل من اهل النار
ويقولون يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما اعرفك من انت فيقول

انا

انا الذي مررت بي في الدنيا يوما فاستسقيتني شربة ما فسقيتك قال
قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسل الله تعالى ذكره ويقول
اني اشرفت على اهل النار فناداني رجل من اهلها فقال هل تعرفني فقلت
لا من انت قال انا الذي استسقيتني في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند
ربك فشفعني فيه فيشفعه الله فيه فيومر به فيخرج من النار وعن
انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول الناس خروجا
اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لوا
الحمد يومئذ بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاكسى حلة من حلل الجنة ثم اقوم
عن يمين العرش ليس احد من الخلق يقوم ذلك المقام غيري
وقال ابن عباس جلس ناس من اصحاب رسول الله ينتظرونه فخرج
اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم
عجبا ان الله تعالى اتخذ من خلقه خليلا اتخذ ابرهيم خليلا وقال
اخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه تكليما وقال اخر فعيسى كلمة الله
وروحه وقال اخر ادم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال
قد سمعت كلامكم وتعجبكم ان ابرهيم خليل الله وهو كذلك وموسى
نجي الله وهو كذلك وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك وادم اصطفاه
الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لوا الحمد
يوم القيامة ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع يوم القيامة ولا فخر

وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فادخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والآخرين ولا فخر

صفة الحوض

اعلم ان الحوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا عليه السلام وقد اشتملت الاخبار على وصفه ونحن نرجو ان يرزقنا الله تعالى في الدنيا علمه وفي الآخرة ذوقه فان من صفاته ان من شرب منه لم يظمأ ابدا قال انس اغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم اغفاءة فرفع راسه متبسما فقالوا يا رسول الله لم ضحكت فقال انه انزلت علي آنفا سورة وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر حتى ختمها ثم قال هل تدرون ما الكوثر قالوا الله ورسوله اعلم قال انه نهر وعدنيه ربي تعالى في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه امتي يوم القيامة آنيته عدد الكواكب وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا اسير في الجنة اذا انا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف قلت ما هذا يا جبريل فقال هذا الكوثر الذي اعطاك ربك فضرب الملك بيده فاذا طينه مسك اذفر وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا او مثل ما بين المدينة وعمان وروى ابن عمر انه لما نزل قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر قال رسول الله صلعم هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب شرابه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واطيب ريحا من المسك يجري على جنادل اللؤلؤ والمرجان وقال ثوبان مولى رسول الله صلعم

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حوضي ما بين عدن الى عمان البلقاء ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل واكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها ابدا اول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين فقال عمر ومن هم يا رسول الله فقال هم الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتنعمات ولا تفتح لهم ابواب السدد فقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نكحت المتنعمات فاطمة بنت عبد الملك وفتحت لي ابواب السدد الا ان يرحمني الله لا جرم لا ادهن راسي حتى تشعث ولا اغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن ابي ذر قال قلت يا رسول الله ما آنية الحوض قال والذي نفس محمد بيده لآنيته اكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المظلمة المصحية من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه تشخب فيه ميزابان من الجنة عرضه مثل طوله ما بين عمان وايلة ماؤه اشد بياضا من اللبن واحلى من العسل وعن سمرة قال قال رسول الله عليه السلام ان لكل نبي حوضا وانهم يتباهون ايهم اكثر واردة واني ارجو ان اكون اكثرهم واردة فهذا رجاء رسول الله عليه السلام فليرج كل عبد ان يكون في جملة الواردين وليحذر ان يكون متمنيا ومغترا وهو يظن انه راج فان الراجي للحصاد من بث البذر ونقى الارض وسقاها الماء ثم جلس يرجو فضل الله بالانبات ودفع الصواعق الى اوان الحصاد فاما من ترك الحراثة والزراعة وتنقية الارض وسقيها واخذ يرجو من فضل الله تعالى ان ينبت

له الحب والفاكهة فهو مغتر ومتمني وليس من الراجين في شيء وهكذا حال اكثر الخلق وهو غرور الحمقى نعوذ بالله من الغرور والغفلة فان الاغترار بالله اعظم من الاغترار بالدنيا قال الله تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور

القول في صفة جهنم واهوالها وانكالها

ايها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع التفكر فيما انت مرتحل عنه واصرف الفكر الى موردك فانك اخبرت بان النار مورد للجميع قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا الآية فانت من الورود على يقين ومن النجاة على شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد واهوالها فعساك تستعد للنجاة بالتشمر لاعمالها وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها واهوالها واقفين ينتظرون حقيقة انبائها وتشفيع شفعائها اذ احاطت بالمجرمين ظلمات ذات الشعب واظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيرا وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك ايقن المجرمون بالعطب وجثت الامم على الركب حتى اشفق البراء من سوء المنقلب وخرج المنادي من الزبانية قائلا اين فلان بن فلان المسوف نفسه في الدنيا بطول الامل المضيع عمره في سوء العمل فيبادرونه بمقامع من حديد ويستقبلونه بعظائم

عند اعقابهم ثم انظر بعد هذا في نتن الصديد الذي يسيل من ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض وهذا شرابهم اذا استغاثوا من العطش يسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ثم انظر الى طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لآكلون من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم وقال ايضا انها شجرة تخرج في اصل الجحيم طلعها كانه رؤوس الشياطين ثم ان لهم عليها لشوبا من حميم وقال تعالى تصلى نارا حامية تسقى من عين آنية وقال ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا افسدت على الناس معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارغبوا فيما رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي انتم فيها حلتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي انتم فيها خبثتها عليكم وقال ابو الدرداء قال رسول الله صلعم

يلقى على اهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيستغيثون
بالطعام فيغاثون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع ويستغيثون
بالطعام فيغاثون بطعام ذي غصة فيذكرون انهم كانوا يجيزون
الغصص في الدنيا بالشراب فيرفع اليهم الحميم بكلاليب الحديد
فاذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فاذا دخل بطونهم قطع ما في
بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم
ان ادعوا ربكم ان يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون اولم تك تاتيكم
رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين الا في ضلال
فيقولون ادعوا مالكا فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك
قال فيجيبهم انكم ماكثون قال الاعمش انبئت ان بين دعائهم
وبين اجابة مالك اياهم الف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلا احد
خير من ربكم قال فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين
ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخسئوا فيها
ولا تكلمون قال فعند ذلك يئسوا من كل خير وعند ذلك اخذوا
في الزفير والحسرة والويل وقال ابو امامة قال رسول الله عليه السلام
في قوله تعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه
قال يقرب اليه فيكرهه فاذا ادني منه شوى وجهه ووقعت فروة
راسه فاذا شرب قطع امعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم وقال وان يستغيثوا يغاثوا بماء

كالمهل يشوي الوجوه فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم
فانظر الان الى حيات جهنم وعقاربها والى شدة سمومها وعظم اشخاصها
وفظاعة منظرها وقد سلطت على اهلها واغريت بهم فهي لا تفتر
عن النهش واللدغ ساعة واحدة قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه من اتاه الله مالا ولم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا اقرع
له زبيبتان يطوقه يوم القيامة ثم ياخذ بلهزمتيه يعني اشداقه فيقول
انا مالك انا كنزك ثم تلى قوله تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما اتاهم
الله من فضله الاية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في النار
لحيات مثل اعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حموتها اربعين خريفا
وان فيها العقارب كالبغال الموكفة يلسعن اللسعة فيجد حموتها
اربعين خريفا وهذه العقارب والحيات انما تسلط على من سلط
الله عليه البخل في الدنيا وسوء الخلق وايذاء الناس ومن وقي ذلك وقي
هذه الحيات فلم تمثل له ثم تفكر بعد هذا كله في تعظيم اجسام
اهل النار فان الله يزيد في اشخاصهم طولا وعرضا حتى يتزايد
عقابهم بسببه فيحسون بلفح النار ولدغ العقارب والحيات
من جميع اجزائها دفعة واحدة على التوالي قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه ضرس الكافر في النار مثل احد وغلظ
جلده مسيرة ثلاث وقال رسول الله صلى الله عليه شفته السفلى
ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه وقال صلى الله

عليه ان الكافر ليجر لسانه في سجين يوم القيامة يتواطاه الناس ومع
عظم الاجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم
قال الحسن كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها قال تاكلهم
النار كل يوم سبعين الف مرة كلما اكلتهم قيل لهم عودوا فيعودون
كما كانوا ثم تفكر الان في بكاء اهل النار وشهيقهم ودعائهم
بالويل والثبور فان ذلك يسلط عليهم في اول لقائهم النار قال
رسول الله صلى الله عليه يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون الف زمام
مع كل زمام سبعون الف ملك وقال انس قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يرسل على اهل النار البكاء فيبكون حتى تنقطع الدموع
حتى يبكون الدم حتى يرى في وجوههم كهيئة الاخدود لو ارسلت
فيها السفن لجرت وما دام يؤذن لهم في البكاء والشهيق والزفير
والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمنعون ايضا
من ذلك قال محمد بن كعب لاهل النار خمس دعوات يجيبهم الله تعالى
في اربعة فاذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها ابدا فيقولون ربنا
امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل الى خروج من
سبيل فيقول الله تعالى مجيبا لهم ذلكم بانه اذا دعي الله وحده
كفرتم وان يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير ثم يقولون ربنا
ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا فيجيبهم الله تعالى اولم تكونوا
اقسمتم من قبل ما لكم من زوال فيقولون ربنا اخرجنا نعمل صالحا

غير الذي كنا نعمل فيجيبهم الله تعالى اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر
وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ثم يقولون ربنا غلبت
علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون
فيجيبهم الله تعالى اخسئوا فيها ولا تكلمون فلا يتكلمون بعدها ابدا
وذلك غاية شدة العذاب قال مالك بن انس قال زيد بن اسلم في قوله
تعالى سواء علينا اجزعنا ام صبرنا ما لنا من محيص قال صبروا مائة
سنة ثم جزعوا مائة سنة اخرى ثم قالوا سواء علينا اجزعنا ام صبرنا
وقال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالموت يوم القيمة كانه كبش املح
فيذبح فيقال يا اهل الجنة خلود لا موت ويا اهل النار خلود لا موت ثم
وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد الف عام وليتني كنت ذلك
الرجل وراى الحسن جالسا في زاوية وهو يبكي فقيل لم تبكي فقال
اخشى ان يطرحني في النار ولا يبالي ثم هذه اصناف عذاب
جهنم على الجملة وتفصيل غمومها واحزانها ومحنها وحسراتها لا نهاية له
فاعظم الامور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم
الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمهم بانهم باعوا ذلك بثمن
بخس ودراهم معدودة اذ لم يبيعوها الا بشهوات حقيرة في الدنيا
اياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكدرة منغصة فيقولون
في انفسهم واحسرتاه كيف اهلكنا انفسنا بعصيان ربنا وكيف
لم نكلف انفسنا الصبر اياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد انقضت

علينا ايامه وبقينا الان في جوار الرحمن متنعمين بالرضا والرضوان فالحسرة
هولاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شي من نعيم الدنيا
ولذاتها ثم انهم لو لم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها
تعرض عليهم فقد قال صلى الله عليه يوتي يوم القيامة بناس الى الجنة
حتى اذا دنوا منها واستنشقوا رايحتها ونظروا الى قصورها والى ما
اعد الله لاهلها فيها نودوا ان اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها فيرجعون
بحسرة ما رجع الاولون والاخرون بمثلها فيقولون يا ربنا لو ادخلتنا النار
قبل ان تريَنا ما اريتنا من ثوابك وما اعددت فيها لاوليايك كان اهون
علينا قال ذلك اردت بكم كنتم اذا خلوتم بارزتموني بالعظايم
واذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراوون الناس بخلاف ما تعطوني
من قلوبكم هبتم الناس ولم تهابوني واجللتم الناس ولم تجلوني وتركتم
للناس ولم تتركوا لي فاليوم اذيقكم العذاب الاليم مع ما حرمتكم من الثواب
المقيم ٭ قال احمد بن حرب ان احدنا يوثر الظل على الشمس ثم لا يوثر
الجنة على النار ٭ وقال عيسى من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان
فصيح بين اطباق النيران يصيح ٭ وقال داود الهي لا صبر لي على حر
شمسك فكيف صبري على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك
فكيف صبري على صوت عذابك ٭ فانظر يا مسكين في هذه
الاهوال واعلم ان النار خلقها الله تعالى باهوالها وخلق لها اهلا
لا يزيدون ولا ينقصون وان هذا امر قد قضي وفرغ منه قال تعالى وانذرهم

يوم الحسرة اذ قضي الامر وهم في غفلة ولعمري الاشارة به الى يوم
القيامة ولكن ما قضي امر يوم القيامة بل في ازل الازل ولكن اظهر يوم القيامة
ما سبق به القضا فالعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشتغل بمحقرات
الدنيا ولست تدري ان القضا بماذا سبق في حقك فان قلت فليت
شعري ماذا موردي والى ماذا مآلي ومرجعي وما الذي سبق به القضا
في حقي فلك علامة تستانس بها وتصدق رجاك بسببها وهو ان تنظر
الى احوالك واعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك
سبيل الخير فابشر فانك مبعد عن النار وان كنت لا تقصد خيرا الا
وتحيط بك العوايق فتدفعه ولا تقصد شرا الا وتيسر لك اسبابه
فاعلم انك مقضي عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة المطر على
النبات ودلالة الدخان على النار وقد قال الله تعالى ان الابرار
لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم فاعرض نفسك على الايتين وقد عرفت
مستقرك من الدارين ٭

القول في صفة الجنة واصناف نعيمها

اعلم ان تلك الدار التي عرفت غمومها وهمومها وشرورها تقابلها دار اخرى
فتامل نعيمها وسرورها فان من بعد عن احداهما استقر لا محالة في الاخرى
فاستثر الخوف من قلبك بطول الفكر في اهوال الجحيم واستثر الرجا
بطول الفكر في النعيم المقيم الموعود لاهل الجنان وسق نفسك
بسوط الخوف وزمام الرجا الى الصراط المستقيم فبه تنال الملك العظيم

وتسلم من العذاب الاليم فتفكر في اهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعيم
يسقون من رحيق مختوم جالسين على منابر الياقوت الاحمر في خيام
من اللولو الرطب الابيض فيها بسط من العبقري الاخضر متكيين على ارايك
منصوبة على اطراف انهار مطردة بالخمر والعسل محفوفة بالغلمان والولدان
مزينة بالحور العين من الخيرات الحسان كانهن الياقوت والمرجان لم يطمثهن
انس قبلهم ولا جان يمشين في درجات الجنان اذا اختالت احداهن في مشيها
حمل اعطافها سبعون الفا من الولدان عليهن من طرايف الحرير الابيض
ما تتحير فيه الابصار مكللات بالتيجان المرصعة باللولو والمرجان شكلات
غنجات عطرات امنات من الهرم والبوس مقصورات في قصور من الياقوت
بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهم
وعليهن باكواب واباريق وكاس من معين الابيض ٭ ويطوف عليهم خدام
وولدان كامثال اللولو المكنون جزا بما كانوا يعملون في مقام امين
في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر
ينظرون فيها الى وجه الله الكريم وقد اشرقت في وجوههم نضرة
النعيم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبانواع التحف من ربهم
يتعاهدون فهم فيها ما اشتهت انفسهم خالدون لا يخافون فيها
ولا يحزنون وهم عن ريب المنون امنون فهم فيها يتنعمون
وياكلون من اطعمتها ويشربون من انهارها لبنا وخمرا وعسلا في انهار
اراضيها فضة وحصباوها مرجان وعلى ارض ترابها مسك اذفر ونباتها

زعفران ويمطرون من سحاب فيها من ما النسرين على كثبان الكافور ويوتون
باكواب واي اكواب اكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والمرجان
كوب فيه من الرحيق المختوم ممزوج به السلسبيل العذب كوب
يشرق نوره من صفا جوهره يبدو الشراب من ورايه برقته وحمرته
لم يصنعه ادمي فيقصر في تسوية صنعته وتحسين صياغته في كف خادم
يحكي ضيا وجهه الشمس في اشراقها ولكن من اين للشمس مثل حلاوة صورته
وحسن اصداغه وملاحة احداقه فيا عجبا لمن يومن بدار هذه صفتها
ويوقن بانه لا يموت اهلها ولا تحل الفجايع بمن نزل بفنايها ولا تنظر
الاحداث بعين التغيير الى اهلها كيف يانس بدار قد اذن الله في
خرابها ويتهنا بعيش دونها والله لو لم يكن فيها الا سلامة الابدان
مع الامن من الموت والجوع والعطش وساير اصناف الحدثان لكان
جديرا بان يهجر الدنيا بسببها وان لا يوثر عليها ما التصرم من ضرورته
كيف واهلها ملوك امنون وفي انواع السرور ممتعون لهم فيها كل
ما يشتهون وهم في كل يوم بفنا العرش يحضرون والى وجه الله الكريم
ينظرون وينالون بالنظر من اللذة ما لا ينظرون معه الى ساير نعيم
الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين اصناف هذه النعم يترددون
وهم من زوال هذه النعم امنون قال ابو هريرة قال رسول الله صلعم
ينادي مناد ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا ابدا وان لكم ان تحيوا فلا
تموتوا ابدا وان لكم ان تشبوا فلا تهرموا ابدا فذلك قوله تعالى

ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ومهما اردت ان تعرف
صفة الجنة فاقرا القران فليس وراء بيان الله بيان واقرا من قوله
ولمن خاف مقام ربه جنتان الى اخر سورة الرحمن واقرا سورة الواقعة
وغيرها من السور وان اردت ان تعرف تفصيل صفاتها من الاخبار فتامل
الان تفصيلها بعد ان اطلعت على جملتها وتامل اولا عدد الجنات
قال رسول الله صلعم في قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان قال
جنتان من فضة انيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب انيتهما وما فيهما وما
بين القوم وبين ان ينظروا الى ربهم الا رداء الكبرياء على وجهه في جنة
عدن ثم انظر الى ابواب الجنة فانها كثيرة بحسب اصول الطاعات
كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي قال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من انفق زوجين من ماله في سبيل الله
دعي من ابواب الجنة وللجنة ابواب فمن كان من اهل الصلاة دعي من باب
الصلاة ومن كان من اهل الصيام دعي من باب الريان ومن كان من اهل
الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من اهل الجهاد دعي من باب
الجهاد فقال ابو بكر رضي الله عنه والله ما على احد من ضرورة من ايها
دعي فهل يدعى احد منها كلها فقال نعم وارجو ان تكون منهم
وعن عاصم بن ضمرة عن علي رضي الله عنه انه ذكر النار فعظم امرها
ذكره لا احفظه ثم قال وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمرا
حتى اذا انتهوا الى باب من ابوابها وجدوا عنده شجرة تخرج من تحت

ساقها عينان تجريان فعمدوا الى احداهما كانما امروا به فشربوا منها
فاذهبت ما في بطونهم من اذى او باس ثم عمدوا الى الاخرى فتطهروا
منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلم تتغير اشعارهم بعدها ابدا
ولا تشعث رؤسهم كانما دهنوا بالدهان ثم انتهوا الى الجنة فقالوا
سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ثم يلقاهم الولدان يطيفون بهم
كما يطيف ولدان اهل الدنيا بالحميم يقدم عليهم من غيبة يقولون له
ابشر اعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قال ثم ينطلق غلام من اولئك الولدان
الى بعض ازواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي كان
يدعى به في الدنيا قالت انت رايته وهو باثرك فيستخف احداهن الفرح
حتى تقوم على اسكفة بابها فاذا انتهى الى منزله نظر الى اساس
بنايه فاذا جندل اللولو فوقه صرح اخضر واحمر واصفر من كل لون
ثم يرفع راسه فينظر الى سقفه فاذا مثل البرق فلولا ان الله تعالى
قدره لالم ان يذهب بصره ثم يطاطي راسه فاذا ازواجه واكواب
موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ثم اتكوا فقالوا الحمد لله
الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ثم ينادي
مناد تحيون فلا تموتون ابدا وتقيمون فلا تظعنون ابدا وتصحون
فلا تمرضون ابدا وقال صلى الله عليه وسلم اتي يوم القيمة
باب الجنة فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك
امرنا ان لا افتح لاحد قبلك ثم تامل الان عرف

الجنة واختلاف درجات العلو فيها فان الاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا
وكما ان بين الناس في الطاعات الظاهرة والاخلاق الباطنة المحمودة
تفاوت ظاهر فكذلك فيما يجازون به تفاوت ظاهر فان كنت تطلب
اعلى الدرجات فاجتهد ان لا يسبقك احد بطاعة الله تعالى فقد
امرك الله بالمسابقة والمنافسة فيها فقال سابقوا الى مغفرة من ربكم
وقال وفي ذلك فليتنافس المتنافسون والعجب انه لو تقدم عليك
اقرانك او جيرانك بزيادة درهم او بعلو بناء ثقل عليك ذلك وضاق به
ذرعك وتنغص بسبب الحسد عيشك واحسن احوالك ان تستقر
في الجنة وانت لا تسلم فيها من اقوام يسبقونك بلطايف لا توازيها
الدنيا بحذافيرها فقد قال ابو سعيد الخدري قال رسول الله عليه السلام
ان اهل الجنة ليتراءون اهل الغرف فوقهم كما تتراءون الكوكب
الغابر في الافق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله
تلك منازل الانبيا لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال
امنوا بالله وصدقوا المرسلين وقال ايضا ان اهل الدرجات العلى
لراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في افق من افاق السماء
وان ابا بكر وعمر منهم وانعما وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم الا احدثكم بغرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله بابينا
انت وامنا قال ان في الجنة غرفا من اصناف الجوهر كله يرى ظاهرها
من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعيم واللذات والسرور ما لا عين رات

ولا اذن سمعت قال قلت يا رسول الله ولمن هذه الغرف قال لمن افشى السلام
واطعم الطعام وادام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله
ومن يطيق ذلك قال امتي تطيق ذلك وساخبركم عن ذلك من لقي اخاه
فسلم عليه فقد افشى السلام ومن اطعم اهله وعياله من الطعام حتى
يشبعوا فقد اطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة ايام
فقد ادام الصيام ومن صلى العشا الاخرة وصلى الغداة في جماعة
فقد صلى بالليل والناس نيام يعني اليهود والنصارى والمجوس وسيل
صلى الله عليه عن قوله تعالى ومساكن طيبة في جنات عدن قال
قصور من لولو في كل قصر سبعون دارا من ياقوتة حمرا في كل دار سبعون بيتا
من زمرد اخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشا من كل لون
على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون بيتا في كل بيت
سبعون مايدة على كل مايدة سبعون لونا من الطعام في كل بيت سبعون
وصيفة ويعطى المومن في كل غداة من القوة ما ياتي على ذلك اجمع

صفة حايط الجنة
وارضها واشجارها وانهارها

تامل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرم
عنها لقناعته بالدنيا بدلا عنها قال ابو هريرة قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان حايط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة ترابها زعفران
وطينها مسك وسيل عليه السلام عن تربة الجنة فقال درمكة بيضا

مسك خالص ٭ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سره ان يسقيه الله تعالى الخمر في الاخرة فليتركها في الدنيا ومن سره
ان يكسوه الله الحرير في الجنة فليتركه في الدنيا انهار الجنة تفجر من تحت
تلال او تحت جبال المسك ولو كان ادنى اهل الجنة حلية عدلت
بحلية اهل الدنيا جميعا لكان ما يحليها الله في الاخرة افضل من حلية اهل
الدنيا جميعا ٭ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرؤوا ان
شئتم وظل ممدود ٭ وقال ابو امامة كان اصحاب رسول الله صلعم
يقولون ان الله ينفعنا بالاعراب ومسائلهم اقبل اعرابي فقال
يا رسول الله قد ذكر الله تعالى في القران شجرة موذية وما كنت ارى
ان في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال عليه السلام ما هي قال هي
السدر فان لها شوكا فقال قال الله تعالى في سدر مخضود يخضد الله
شوكه فيجعل مكان كل شوكة ثمرة ثم تنفتق الثمرة منها عن اثنين
وسبعين لونا من طعام ما منها لون يشبه الاخر ٭ وقال جرير بن عبد الله
نزلنا الصفاح فاذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس ان تبلغه
فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فاظله فانطلق فاظله فلما
استيقظ اذا هو سلمان فاتيته اسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله
فانه من تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيامة هل تدري ما
الظلمات يوم القيامة قلت لا ادري قال ظلم الناس بينهم ثم اخذ عودا

لا اكاد اراه من صغره فقال يا جرير لو طلبت في الجنة مثل هذا لم تجده
قلت يا ابا عبد الله فاين النخل والشجر قال اصولها اللؤلؤ والذهب واعلاها
الثمر ٭

صفة لباس اهل الجنة
فرشهم وسررهم واراكهم وخيامهم

قال الله تعالى يحلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها
حرير والايات في تفصيل ذلك كثيرة واما تفصيله في الاخبار
فقد روى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة
ينعم لا يبوس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه في الجنة ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ٭ وقال رجل يا رسول الله اخبرنا
عن ثياب اهل الجنة اتخلق تخلقا ام تنسج نسجا فسكت صلى الله عليه
وضحك بعض القوم فقال صلى الله عليه وسلم مم تضحكون من جاهل
سال عالما ثم قال صلى الله عليه وسلم بل تشقق عنها ثمر الجنة مرتين ٭
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول زمرة
تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها
ولا يمتخطون ولا يتغوطون فيها آنيتهم وامشاطهم من الذهب
والفضة ورشحهم المسك ولكل واحد منهم زوجتان يرى
مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم
على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشيا وفي رواية على كل زوجة
سبعون حلة ٭ وقال النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى

يحلون فيها من اساور من ذهب قال ان عليهم التيجان ان ادنى لؤلؤة فيها
تضيء ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم الخيمة درة
مجوفة طولها في السماء ستون ميلا في كل زاوية منها للمؤمن اهل لا يراه
الاخرون رواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الخيمة درة مجوفة
فرسخ في فرسخ لها اربعة الف مصراع من ذهب وقال ابو سعيد الخدري
قال رسول الله عليه السلام في قوله تعالى وفرش مرفوعة قال ما بين
الفراشين كما بين السماء والارض ٭

صفة طعام اهل الجنة

بيان طعام اهل الجنة مذكور في القران من الفواكه والطيور السمان
والمن والسلوى والعسل واللبن واصناف كثيرة لا تحصى قال تعالى
كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل واتوا به
متشابها وذكر الله تعالى شراب اهل الجنة في مواضع كثيرة وقد قال
ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه كنت قائما عند رسول الله فجاءه
حبر من اليهود فذكر له اسولة الى ان قال فمن اول الناس اجازة
يعني على الصراط فقال فقراء المهاجرين فقال اليهودي فما تحفتهم
حين يدخلون الجنة فقال زيادة كبد النون قال فما غداؤهم على اثرها
قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان ياكل من اطرافها قال فما شرابهم عليه
قال من عين فيها تسمى سلسبيلا فقال صدقت ٭ وقال زيد بن ارقم
جاء رجل من اليهود الى رسول الله صلعم فقال يا ابا القاسم الست تزعم

ان اهل الجنة فيها ياكلون ويشربون وقال لاصحابه ان اقر لي بها خصمته
فقال عليه السلام بلى والذي نفسي بيده ان احدهم ليعطى قوة مائة رجل
في المطعم والمشرب والجماع فقال اليهودي فان الذي ياكل ويشرب
تكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم
عرق يفيض من جلودهم مثل المسك فاذا البطن قد ضمر ٭ وقال
ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انك لتنظر الى الطير
في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشويا ٭ وقال حذيفة
قال رسول الله صلى الله عليه ان في الجنة طيرا امثال البخاتي فقال
ابو بكر انها لناعمة يا رسول الله قال انعم منها من ياكلها وانت ممن ياكلها
يا ابا بكر ٭ وقال عبد الله بن عمرو في قوله تعالى يطاف عليهم
بصحاف من ذهب قال يطاف بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة
فيها لون ليس في الاخرى ٭ وقال عبد الله بن مسعود ومزاجه
من تسنيم قال يمزج لاصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفا ٭ وقال
ابو الدرداء في قوله تعالى ختامه مسك قال هو شراب ابيض مثل
الفضة يختمون به اخر شرابهم لو ان رجلا من اهل الدنيا ادخل يده
فيه ثم اخرجها لم يبق ذو روح الا وجد ريح طيبها ٭

صفة الحور العين والولدان

قد ذكرت في القران اوصافهم ووردت الاخبار بزيادة شرح فيه
روى انس ان رسول الله عليه السلام قال غدوة في سبيل الله او روحة

خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس احدكم او موضع قدمه من الجنة خير
من الدنيا وما فيها ولو ان امراة من نسا اهل الجنة اطلعت الى الارض لاضات
ولملات ما بينهما رائحة ولنصيفها على راسها خير من الدنيا وما فيها يعني الخمار
وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله
تعالى كانهن الياقوت والمرجان قال تنظر الى وجهها في خدها
اصفى من المراة وان ادنى لولوة عليها لتضي ما بين المشرق والمغرب
وانه يكون عليها سبعون ثوبا ينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها
من ورا ذلك وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما اسري بي دخلت الجنة موضعا يسمى البيدخ عليه خيام اللولو
والزبرجد الاخضر والياقوت الاحمر فقلن السلام عليك يا رسول الله
فقلت يا جبريل ما هذا النداء قال هولا المقصورات في الخيام يستاذن
ربهن في السلام عليك فاذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات
فلا نسخط ابدا ونحن الخالدات فلا نظعن ابدا وقرا صلى الله عليه
وسلم قوله تعالى حور مقصورات في الخيام وقال مجاهد في قوله
تعالى ازواج مطهرة قال من الحيض والغايط والبول والبصاق
والنخامة والمني والولد وقال الاوزاعي في شغل فاكهون
اي شغلهم افتضاض الابكار وقال رجل يا رسول الله ايباضع اهل
الجنة فقال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد افضل
من سبعين منكم وقال عبد الله بن عمر ان ادنى اهل الجنة

منزلة من يسعى معه الف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحبه
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة
ليزوج خمسمائة حورا واربعة الف بكر وثمانية الف ثيب يعانق كل واحدة
منهن مقدار عمره في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ان في الجنة سوقا
ما فيها بيع ولا شرا الا الصور من الرجال والنسا فاذا اشتهى الرجل صورة
دخل فيها وان فيها لمجتمع الحور العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلايق
مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن الناعمات فلا نبوس ونحن الراضيات
فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى
فهم في روضة يحبرون قال السماع في الجنة قال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الحور في الجنة يغنين يقلن نحن الجوار الحسان
خبينا لازواج كرام قال ابو امامة الباهلي قال رسول الله صلى
ما من عبد يدخل الجنة الا ويجلس عند راسه وعند رجليه ثنتان من الحور
العين تغنيانه باحسن صوت سمعه الانس والجن وليس بمزمار الشيطان
ولكن بتحميد الله وتقديسه

بيان جمل معرفة من اوصاف
اهل الجنة وردت بها الاخبار

روي اسامة بن زيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه الا هل
مشمر للجنة ان الجنة لا خطر لها وهي ورب الكعبة نور يتلالا وريحانة
تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكهة كثيرة نضيجة وزوجة

حسنا جميلة في حبرة ونعمة في مقام ابدا ونضرة في دار عالية بهية سليمة
قالوا نحن المشمرون لها يا رسول الله قال قولوا ان شا الله تعالى ثم ذكر الجهاد
وحض عليه وجا رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
هل في الجنة خيل فانها تعجبني قال ان احببت ذلك اتيت بفرس
من ياقوتة حمرا فيطير بك في الجنة حيث شيت وقال له رجل ان
الابل تعجبني فهل في الجنة من ابل فقال يا عبد الله ان ادخلت الجنة
فلك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك وعن ابي سعيد الخدري
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل من اهل الجنة
ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة
وقال رسول الله صلى الله عليه اذا استقر اهل الجنة في الجنة
اشتاق الاخوان الى الاخوان فيسير سرير هذا الى سرير هذا فيلتقيان
فيتحدثان ما كان بينهما في الدنيا فيقول يا اخي اتذكر يوم كنا في
مجلس كذا فدعونا الله تعالى فغفر لنا وقال رسول الله صلى
اهل الجنة جرد مرد بيض جعاد مكحلون ابنا ثلاث وثلثين على
خلق ادم طولهم ستون ذراعا عرض سبعة اذرع وقال رسول الله
صلى الله عليه ادنى اهل الجنة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان
وسبعون زوجة وينصب له قبة من لولو وزبرجد وياقوت كما بين
الجابية الى صنعا وان عليهم التيجان وان ادنى لولوة منها لتضي
ما بين المشرق والمغرب وقال صلى الله عليه وسلم نظرت الى الجنة

فاذا الرمانة من رمانها كخلف البعير المقتب واذا طيرها كالبخت واذا
فيها جارية فقلت يا جارية لمن انت قالت لزيد بن حارثة واذا في الجنة
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال كعب
خلق الله ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال
لها تكلمي فقالت قد افلح المومنون فهذه صفات الجنة ذكرناها
جملة ثم نقلناها تفصيلا وقد ذكر الحسن البصري جملتها فقال ان رمانها
مثل الدلاء وان انهارها لمن ما غير اسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه
وانهار من عسل مصفى لم تصفه الرجال وانهار من خمر لذة للشاربين
لا تسفه الاحلام ولا تصدع منها الرووس وان فيها ما لا عين رات
ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ملوك ناعمون ابنا ثلاث
وثلثين في سن واحد طولهم ستون ذراعا في السما كحل جرد مرد
قد امنوا العذاب واطمانت بهم الدار وان انهارها لتجري على رضراض
من ياقوت وزبرجد وان عروقها ونخلها وكرمها اللولو وثمارها لا يعلم
علمها الا الله تعالى وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وان لهم
فيها خيلا وابلا هفافة رحالها وازمتها وسروجها من ياقوت
يتزاورون بها وازواجهم الحور العين كانهن بيض مكنون وان المراة
لتاخذ بين اصبعيها سبعين حلة فتلبسها فيرى مخ ساقها
من ورا تلك السبعين حلة قد طهر الله الاخلاق من السوء والاجساد
من الموت لا يمتخطون فيها ولا يبولون ولا يتغوطون وانما هو جشا

ودرنج مسك لهم رزقهم فيها بكرة وعشيا اما انه ليس ليل بكن الغدو
على الرواح والرواح على الغدو وان اخر من يدخل الجنة وادناهم منزلة
ليمد له في بصره وملكه مسيرة ماية عام في قصور الذهب والفضة وخيام
اللولو ويفسح له في بصره وملكه حتى ينظر الى اقصاه كما ينظر الى ادناه
تغدى عليهم سبعين الف صحيفة من ذهب وراح عليهم مثلها في كل
صحيفة لون ليس في الاخرى يجد طعم اخره كما يجد طعم اوله وان له
في الجنة ياقوتة فيها سبعون الف دار في كل دار سبعون الف
بيت ليس فيها صدع ولا ثقب هـ وقال مجاهد ان ادنى اهل الجنة
منزلة لمن يسير في ملكه الف سنة يرى اقصاه كما يرى ادناه
وارفعهم الذي ينظر الى ربه بالغداة والعشي وقال سعيد
بن المسيب ليس لاحد من اهل الجنة الا في يده ثلثة اسورة سوار
من ذهب وسوار من فضة وسوار من لولو وقال ابو هريرة ان في
الجنة حوراء يقال لها العيناء اذا مشت مشى عن يمينها ويسارها
سبعون الف وصيفة وهي تقول اين الامرون بالمعروف والناهون
عن المنكر وقال يحيى بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة
اشد وترك الدنيا مهر الاخرة وقال ايضا في طلب الدنيا ذل النفوس
وفي طلب الجنة عز النفوس فيا عجبا لمن يختار المذلة في طلب ما يفنى
ويترك العز في طلب ما يبقى هـ

صفة الرؤية والنظر الى وجه الله تعالى

قال الله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة وهذه الزيادة
هي النظر الى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها
نعيم اهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها في كتاب المحبة وقد شهد
لها الكتاب والسنة على خلاف ما يعتقده اهل البدعة فقال جرير
بن عبد الله كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر الى
القمر ليلة البدر فقال انكم ترون ربكم [كما ترون صح] هذا القمر لا تضامون في رويته
فان استطعتم ان لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
فافعلوا ثم قرا فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب
وهو مخرج في الصحيحين وروى مسلم في الصحيح عن صهيب
قال قرا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى للذين احسنوا
الحسنى وزيادة قال اذا دخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار
نادى مناد يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه قالوا
ما هذا الموعد الم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة
ويجرنا من النار قال فيرفع الحجاب فينظرون الى وجه الله تعالى
فما اعطوا شيا احب اليهم من النظر اليه هـ وقد روى حديث
الروية جماعة من الصحابة وهذه هي غاية الحسنى ونهاية النعمى
وكل ما فصلناه من التنعم عند هذه النعمة ينسى وليس لسرور اهل
الجنة عند سعادة اللقا منتهى فلا نسبة لشي من لذات الجنة
الى لذة اللقا وقد اوجزنا هاهنا الكلام لما فصلناه في كتاب

المحبة والشوق فلا ينبغي ان تكون همة العبد من الجنة شي سوى لقا
المولى فاما ساير نعيم اهل الجنة فانه تشارك فيه البهيمة المسرحة في المرعى

تخيم الكتاب بباب في سعة رحمة الله تعالى
على سبيل التفاول به هـ

فقد كان رسول الله صلى الله عليه يحب الفال وليس لنا من الاعمال ما نرجوا
به المغفرة فنقتدي برسول الله عليه السلام في التفال ونرجوا ان يختم
عاقبتنا بالخير كما في الدنيا والاخرة كما ختمنا الكتاب بذكر رحمة الله
تعالى فقد قال تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا وقال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال تعالى ومن
يعمل سوا او يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما
ونحن نستغفر الله من كل ما زلت به القدام او طغى به القلم في كتابنا
وفي ساير كتبنا ونستغفره من اقوالنا التي لا توافقها اعمالنا ونستغفره
مما ادعيناه واظهرناه من العلم والبصيرة بدين الله مع التقصير فيه
ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره
ونستغفره من كل وعد وعدناه به من انفسنا ثم قصرنا في الوفا به
ونستغفره من كل نعمة انعم بها علينا ونستغفره من كل تصريح وتعريض
بنقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة
دعتنا الى تصنع وتكلف تزينا للناس في كتاب سطرناه او كلام

نظمناه او علم افدناه او استفدناه ونرجوا بعد الاستغفار من جميع
ذلك كله لنا ولمن طالع في كتابنا هذا او كتبه او سمعه ان يكرمه بالرحمة
والمغفرة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهرا وباطنا فالكرم
عميم والرحمة واسعة والجود على اصناف الخلايق فايض ونحن خلق
من خلق الله لا وسيلة لنا اليه الا فضله وكرمه فقد قال رسول الله عليه
السلام لله عز وجل مائة رحمة انزل منها رحمة واحدة بين الجن
والانس والطير والهوام والبهايم فيها يتعاطفون ويتراحمون واخر تسعا
وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة هـ ويروى انه اذا كان يوم
القيامة اخرج الله كتابا من تحت العرش ان رحمتي سبقت غضبي
وانا ارحم الراحمين فيخرج من النار مثل اهل الجنة هـ وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة
ضاحكا فيقول ابشروا معشر المسلمين فانه ليس منكم احد الا
وقد جعلت مكانه في النار يهوديا او نصرانيا هـ وقال صلى الله
عليه وسلم يشفع الله ادم يوم القيامة في جميع ذريته في ماية
الف الف وعشرة الف الف هـ وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
عز وجل يقول يوم القيمة للمومنين هل احببتم لقاي فيقولون
نعم يا ربنا فيقول لم فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول
قد اوجبت لكم مغفرتي هـ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الله عز وجل يوم القيامة اخرجوا من النار من ذكرني يوما

وخانني في مقام ه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمع اهل
النار في النار ومن شا الله معهم من اهل القبلة قال الكفار للمسلمين
الم تكونوا مسلمين قالوا بلى فيقولون ما اغنى عنكم اسلامكم اذ انتم معنا
في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فاخذنا بها فيسمع الله تعالى ما قالوا
فيامر باخراج من كان في النار من اهل القبلة فيخرجون فلما راى الكفار
ذلك قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما اخرجوا ثم قرا صلى الله
عليه ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ه وقال رسول الله صلى الله
عليه الله ارحم بعبده المومن من الوالدة الشفيقة بولدها ه
وقال جابر بن عبد الله من زادت حسناته على سيئاته يوم القيامة
فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسناته وسيئاته
يوم القيمة فذلك الذي حاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة وانما
شفاعة رسول الله عليه لمن اوثق نفسه واثقل ظهره ه ويروى ان الله
تعالى قال لموسى يا موسى لستغاث بك قارون فلم تغثه وعزتي
وجلالي لو استغاث بي لاغثته وعفوت عنه ه وقال سعد بن بلال
يومر يوم القيامة باخراج رجلين من النار فيقول الله تعالى بما قدمت
ايديكما وما انا بظلام للعبيد ويامر بردهما الى النار فيعدو احدهما
في سلاسله حتى يقحمها ويتلكى الاخر فيومر بردهما ويسالهما عن فعلهما
فيقول الذي عدا الى النار قد حربت من وبال المعصية ما لم اكن لاتعرض
لسخطك ثانيه وقال الذي تلكى حسن ظني بك كان يشعرني

ان لا تردني اليها بعد ما اخرجتني منها فيامر بهما الى الجنة ه وقال
رسول الله صلى الله عليه ينادي مناد من تحت العرش يوم القيامة
يا امة محمد اما ما كان لي قبلكم فقد وهبته لكم وبقيت التبعات
فتواهبوا وادخلوا الجنة برحمتي ه ويروى ان اعرابيا سمع ابن عباس
يقرا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها فقال والله ما
انقذهم منها وهو يريد ان يوقعهم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير
فقيه ه وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض
الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي فوالله ما من حديث سمعته من
رسول الله لكم فيه خير الا حدثتكموه الا حديثا واحدا وسوف
احدثكموه اليوم وقد احيط بنفسي سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول من شهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله حرم الله
عليه النار ه وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله صلى
ان الله سيخلص رجلا من امتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة
فينشر عليه تسع وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر ثم قال اتنكر
من هذا شيا اظلمتك كتبتي الحافظون فيقول لا يا رب فيقول افلك عذر
قال لا يا رب فيقول بلى ان لك عندنا حسنة وانه لا ظلم عليك اليوم
فتخرج بطاقة فيها اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله
فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال انك لا تظلم
قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات

وثقلت البطاقة فلا يثقل مع الله شي ه وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم في اخر حديث طويل يصف فيه القيمة والصراط ان الله تعالى
يقول للملائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فاخرجوه من النار
فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون يا ربنا لم نذر فيها احدا ممن امرتنا به ثم
يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه نصف دينار من خير فاخرجوه فيخرجون
خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها احدا مما امرتنا به فيقول ارجعوا فمن
وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فاخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا
ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا فكان ابو سعيد يقول ان لم تصدقوني
بهذا الحديث فاقرووا ان شئتم ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك
حسنة يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما قال فيقول الله شفعت
الملائكة وشفع النبيون وشفع المومنون فلم يبق الا ارحم الراحمين
فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط قد عادوا حمما
فيلقيهم في نهر من افواه الجنة يقال له نهر الحيوة فيخرجون منها
كما تخرج الحبة من حميل السيل الا ترونها تكون مما يلي الحجر
او الشجر ما يكون الى الشمس اصفر وابيض وما يكون منها الى الظل
ابيض فقالوا يا رسول الله كانك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون
كاللولو في رقابهم الخواتيم يعرفهم اهل الجنة يقولون هولاء عتقا الله
الذين يدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول
ادخلوا الجنة فما رايتم فيها فهو لكم فيقولون ربنا اعطيتنا ما لم تعط

احدا من العالمين فيقول الله تعالى لكم عندي افضل من هذا فيقولون
اي شي افضل من هذا فيقول رضاي فلا اسخط عليكم بعده ابدا رواه
البخاري ومسلم في صحيحيهما وروى البخاري ايضا عن ابن عباس
قال خرج الينا رسول الله عليه السلام ذات يوم فقال عرضت علي الامم
يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجلان والنبي ليس معه واحد
والنبي معه الرهط ورايت سوادا كبيرا فرجوت ان تكون امتي فقيل
لي هذا موسى في قومه ثم قيل انظر فرايت سوادا كبيرا قد سد الافق
فقيل لي انظر هكذا وهكذا فرايت سوادا كثيرا فقيل لي هولا
امتك ومع هولا سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق
الناس ولم يبين لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذاكر ذلك
اصحابه فقالوا اما نحن فولدنا في الشرك ولكن قد امنا بالله ورسوله
وهولا ابناونا ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ثم قام اخر
فقال انا منهم يا رسول الله فقال سبقك بها عكاشة ه وعن عمرو
بن حزم الانصاري قال تغيب عنا رسول الله عليه السلام ثلاثا لا
يخرج الينا الا لصلوة المكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج
الينا فقلنا يا رسول الله احتبست عنا حتى ظننا انه قد حدث
حدث قال لم يحدث الا خير ان ربي عز وجل وعدني ان يدخل الجنة
من امتي سبعين الفا لا حساب عليهم واني سالت ربي في هذه الثلاثة
الايام المزيد فوجدت ربي ماجدا كريما فاعطاني مع كل واحد

من السبعين الفا سبعين الفا قال قلت يا رب ويبلغ امتي هذا قال اكمل لك
العدد من الاعراب وقال ابو ذر قال رسول الله عليه السلام عرض لي
جبرئيل في جانب الحرة فقال بشر امتك انه من مات لا يشرك بالله شيئا
دخل الجنة فقلت يا جبرئيل وان سرق وان زنا قال نعم وان سرق وان زنا
قلت وان سرق وان زنا قال وان سرق وان زنا وان شرب الخمر وقال
ابو الدرداء قرا رسول الله يوما ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت
وان زنا وان سرق يا رسول الله فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت
وان زنا وان سرق فقال ولمن خاف مقام ربه جنتان فقلت وان زنا وان
سرق يا رسول الله فقال وان رغم انف ابي الدرداء وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان يوم القيمة دفع الى كل مؤمن
رجل من اهل الملل فقيل له هذا فداؤك من النار وروى مسلم
في الصحيح عن ابي برده انه حدث عمر بن عبد العزيز عن ابيه ابي موسى
عن النبي عليه السلام قال لا يموت رجل مسلم الا ادخل الله مكانه
النار يهوديا او نصرانيا فاستحلفه عمر بن عبد العزيز بالله الذي لا اله
الا هو ثلث مرات ان اباه حدثه عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحلف له وروي انه وقف صبي في بعض المغازي
في يوم صائف شديد الحر يصاح عليه فيمن يزيد فبصرت به امراة
في خباء القوم فاقبلت تشتد واقبل اصحابها خلفها حتى اخذت
الصبي والصقته الى بطنها ثم القت ظهرها على حر البطحاء وجعلته

على

والخلاص ونحن نذكر معاني الصدق والاخلاص في ثلثة ابواب

الباب الاول ـــ في حقيقة النية ومعناها
الباب الثاني ـــ في الاخلاص وحقايقه
الباب الثالث ـــ في الصدق وحقيقته

الباب الاول في النية

وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خير
من العمل وبيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنفس وبيان خروج النية عن الاختيار

بيان فضيلة النية

قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون
وجهه والمراد بتلك الارادة هي النية وقال صلى الله عليه وسلم انما
الاعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته الى الله ورسوله
فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى دنيا يصيبها او امراة يتزوجها
فهجرته الى ما هاجر اليه وقال صلى الله عليه وسلم اكثر شهداء امتي اصحاب
الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال الله تعالى ان
يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فجعل النية سبب التوفيق وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم وانما ينظر الى
قلوبكم واعمالكم وانما نظر الى القلوب لانها مظنة النية وقال صلعم
ان العبد ليعمل اعمالا حسنة فتصعد بها الملائكة في صحف مختمة فتلقى

بين يدي الله تعالى فيقول القوا هذه الصحيفة فانه لم يرد بما فيها وجهي
ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا واكتبوا له كذا فيقولون يا ربنا انه لم يعمل شيئا
من ذلك فيقول الله تعالى انه نواه انه نواه وقال صلى الله عليه وسلم
الناس اربعة رجل اتاه الله تعالى علما ومالا وهو يعمل بعلمه في ماله
فيقول رجل لو اتاني الله تعالى ما اتاه لعملت كما يعمل فهما في الاجر سوا
ورجل اتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علما فهو يتخبط بجهله في ماله فيقول
رجل لو اتاني الله مثل ما اتاه عملت كما يعمل فهما في الوزر سوا الا ترى
كيف شركه بالنية في محاسن عمله ومساويه وكذلك في حديث انس بن مالك
لما خرج رسول الله صلى الله عليه في غزوة تبوك قال ان بالمدينة
اقواما ما قطعنا واديا ولا وطينا موطيا يغيظ الكفار ولا انفقنا نفقة
ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك
يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشاركونا بحسن النية
وفي حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيا فهو له فهاجر رجل فتزوج
امراة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس ولذلك جاء في الخبر ان رجلا قتل
في سبيل الله فكان يدعا قتيل الحمار لانه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره
فقتل على ذلك فاضيف الى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى الله عليه
وسلم من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى وقال ابي استعنت رجلا
يغزو معي فقال لا حتى تجعل لي جعلا فجعلت له فذكرت ذلك
للنبي عليه السلام فقال ليس له من دنياه وآخرته الا ما جعلت له

وروي في الاسرايليات ان رجلا مر بكثبان من رمل في مجاعة فقال في نفسه
لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحى الله تعالى الى نبيهم
ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك
ثواب ما لو كان طعاما فتصدقت به وقد ورد في اخبار كثيرة من هم
بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة وفي حديث عبد الله بن عمرو
من كانت الدنيا نيته جعل الله فقره بين عينيه وفارقها ارغب ما يكون
فيها ومن تكن الاخرة نيته جعل الله غناه في قلبه وجمع عليه ضيعته
وفارقها ازهد ما يكون فيها وفي حديث ام سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
ذكر جيشا يخسف بهم بالبيداء فقلت يا رسول الله يكون فيهم المكره
والاجير فقال يحشرون على نياتهم وقال عمر رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انما يقتتل المقتتلون على النيات
وقال عليه السلام اذا التقى الصفان نزلت الملائكة تكتب الخلق على
مراتبهم فلان يقاتل للدنيا فلان يقاتل حمية فلان يقاتل
عصبية الا فلا تقولوا قتل فلان في سبيل الله فمن قاتل لتكون
كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله وعن جابر عن رسول الله صلعم
انه قال يبعث كل عبد على ما مات عليه وفي حديث الاحنف عن ابي بكرة
اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث
ابي هريرة من تزوج امراة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان

ومن اراد الدنيا وهو لا ينوي قضاه فهو سارق وقال صلى الله عليه وسلم
من تطيب لله تعالى جا يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب
لغير الله جا يوم القيامة وريحه انتن من الجيفة ٥ واما الاثار
فقد قال عمر رضي الله عنه افضل الاعمال ادا ما افترض الله تعالى والورع
عما حرم الله تعالى وصدق النية فيما عند الله تعالى ٥ وكتب سالم
بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اعلم ان عون الله تعالى للعبد على قدر
النية فمن تمت نيته تم عون الله له وان نقصت نقص بقدره وقال بعض
السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية وقال
داود الطائي البر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا
لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك وقال
الثوري كانوا يتعلمون النية للعمل كما يتعلمون العمل وقال
بعض العلما اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت تنوي الخير
فانت بخير وكان بعض المريدين يطوف على العلما يقول من يدلني على
عمل لا ازال فيه عاملا لله تعالى فاني لا احب ان ياتي علي ساعة من ليل
او نهار الا وانا عامل من عمال الله فقيل له قد وجدت حاجتك فاعمل
الخير ما استطعت فاذا فترت او تركته فهم بعمله فان الهام بعمل الخير
كعامله وكذلك قال بعض السلف ان نعمة الله عليكم اكثر من ان تحصوها
وان ذنوبكم اخفى من ان تعلموها ولكن اصبحوا تايبين وامسوا تايبين
يغفر لكم ما بين ذلك ٥ وقال عيسى عليه السلام طوبى لعين نامت ولا تهم

معصية وانتبهت الى غير اثم وقال ابو هريرة يبعثون يوم القيامة
على قدر نياتهم ٥ وكان الفضيل اذا قرا ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين
منكم والصابرين ونبلو اخباركم يبكي ويرددها ويقول انك ان بلوتنا
فضحتنا وهتكت استارنا ٥ وقال الحسن انما خلد اهل الجنة
في الجنة واهل النار في النار بالنيات ٥ وقال ابو هريرة مكتوب
في التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره
قليل ٥ وقال بلال بن سعد ان العبد ليقول قول مومن فلا يدعه
الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فاذا عمل لم يدعه حتى ينظر
في ورعه فان تورع لم يدعه حتى ينظر فيما ذا نوى فان صلحت النية
فحري ان يصلح ما دون ذلك ٥ فاذن عماد الاعمال النيات فالعمل
مفتقر الى النية ليصير بها خيرا والنية في نفسها خير وان تعذر
العمل بعايق ٥

بيان حقيقة النية

اعلم ان النية والارادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد
وهو حالة وصفة للقلب يكتنفها امران علم وعمل العلم يقدمه
لانه اصله وشرطه والعمل يتبعه لانه ثمرته وفرعه وذلك لان
كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا بثلثة امور علم
وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد وان يعلم ولا يعمل
ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه

موافقا للغرض اما في الحال واما في المال فقد خلق الانسان بحيث توافقه
بعض الامور وتلايم غرضه وتخالفه بعض الامور فاحتاج الى جلب الملايم
الموافق الى نفسه ودفع الضار المنافي عن نفسه فافتقر بالضرورة الى
معرفة وادراك للشي المضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا
فان من لا يبصر الغذا ولا يعرفه لا يمكنه ان يتناوله ومن لا يبصر النار لا يمكنه
الهرب منها فخلق الله الهداية والمعرفة وجعل لها اسبابا وهي الحواس
الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو ابصر الغذا وعرف انه
موافق له فلا يكفيه ذلك للتناول ما لم يكن فيه ميل اليه ورغبة فيه
وشهوة له باعثة عليه اذ المريض يرى الغذا ويعلم انه موافق ولا يمكنه
التناول لعدم الرغبة والميل ولفقد الداعية المحركة اليه فخلق الله
تعالى له الميل والرغبة والارادة واعني به نزوعا في نفسه اليه
وتوجها في قلبه اليه ثم ذلك لا يكفيه فكم من مشاهد طعاما راغب فيه
مريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا فخلقت له القدرة والاعضا
المحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك الا بالقدرة والقدرة
تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والمعرفة او الظن
والاعتقاد وهو ان يقوى في نفسه كون الشي موافقا له فاذا جزمت
المعرفة بان الشي موافق ولا بد وان يفعل وسلمت عن معارضة باعث
اخر صارف عنه انبعثت الارادة وتحقق الميل فاذا انبعثت الارادة
انتهضت القدرة لتحريك الاعضا فالقدرة خادمة للارادة والارادة

تابعة لحكم الاعتقاد والمعرفة فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة
وهي الارادة وانبعاث النفس بحكم الرغبة والميل الى ما هو موافق للغرض
اما في الحال واما في المال فالمحرك الاول هو الغرض المطلوب وهو الباعث
والغرض الباعث هو المقصد المنوي والانبعاث هو القصد والنية
وانتهاض القدرة لخدمة الارادة بتحريك الاعضا هو العمل الا ان انتهاض
القدرة للعمل قد يكون بباعث واحد وقد يكون بباعثين اجتمعا في فعل
واحد واذا كان بباعثين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان مليا
بانهاض القدرة والمعرفة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه الا بالاجتماع
وقد يكون احدهما كافيا لولا الاخر لكن الاخر انتهض عاضدا له ومعاونا
فيخرج من هذا التقسيم اربعة اقسام فلنذكر لكل واحد مثالا
واسما ٥ اما الاول فهو ان ينفرد الباعث الواحد ويتجرد
كما اذا هجم على الانسان سبع فكلما راه قام من موضعه فلا مزعج له
الا غرض الهرب من السبع فانه راى السبع وعرفه ضارا فانبعثت
نفسه الى الهرب ورغبت فيه فانتهضت القدرة عاملة بمقتضى الانبعاث
فيقال نيته الفرار من السبع لا نية له في القيام غيره وهذه النية
تسمى خالصة ويسمى العمل بموجبها اخلاصا بالاضافة الى الغرض
الباعث ومعناه انه خلص عن مشاركة غيره وممازجته ٥
واما الثاني فهو ان يجتمع باعثان كل واحد مستقل بالا
نتهاض لو انفرد ومثاله من المحسوسات ان يتعاون رجلان على حمل شي

بمقدار من القوة كانت كافية في الحمل لو انفردت به ومثاله
في غرضنا ان يسأله قريبه الفقير حاجة فيقضيها لفقره ولقرابته وعلم
انه لولا فقره ~~ولقرابته وعلم انه لولا فقره لكان يقضيها بمجرد القرابة~~
وانه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بان يحضره
قريب غني فيرغب في قضا حاجته وفقير اجنبي فيرغب ايضا فيه
وكذلك من امره الطبيب بترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فصام وهو يعلم
انه لولا عرفه لكان يترك الطعام حمية ولولا الحمية لكان يتركه لاجل
انه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فاقدم على الفعل فكان الباعث الثاني
رفيق للاول فلنسم هذا مرافقة البواعث الثالث ان لا يستقل
كل واحد لو انفرد ولكن قوي بمجموعهما على انهاض القدرة ومثاله
في المحسوس ان يتعاون ضعيفان على حمل ما لا ينفرد احدهما به
ومثاله من غرضنا ان يقصده قريبه الغني فيطلب درهما فلا
يعطيه فيقصده الاجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يعطيه ثم
يقصده الفقير القريب فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع
الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يتصدق بين
يدي الناس لغرض الثواب ولغرض الثنا ويكون بحيث لو كان
منفردا لكان لا يبعثه مجرد قصد الثواب على العطا ولو كان
الطالب فاسقا لا ثواب في التصدق عليه لكان لا يبعثه مجرد
الريا على العطا فلما اجتمعا اورثا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم

الا ان يستعين به على الخير وانما حب الرياسة والاستتباع والتفاخر
بعلو العلم حسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة
يلبس عليه وليت شعري ما جوابه عمن وهب سيفا من قاطع طريق
واعد له خيلا واسبابا ويقول انما اردت البذل والسخا والتخلق باخلاق
الله تعالى وقصدت به ان يغزو بهذا السيف والخيل فان اعداد الخيل
والرباط والقوة للغزاة من افضل القربات فان هو صرفه الى قطع
الطريق فهو العاصي وقد اجمع الفقها على ان ذلك حرام مع ان السخا
هو احب الاخلاق الى الله تعالى حتى قال صلى الله عليه وسلم
ان لله ثلثمائة خلق من تقرب اليه بواحد منها دخل الجنة واحبها
اليه السخا فليت شعري لم حرم هذا السخا ولم وجب عليه ان ينظر
الى قرينة حاله فاذا لاح له من عادته انه يستعين بالسلاح على الشر
فينبغي ان يسعى في سلب سلاحه لا في ان يمده بغيره والعلم سلاح
يقاتل به الشيطان واعدا الله وقد يعاون به اعدا الله وهو
الهوى فمن لا يزال مؤثرا الدنيا على دينه ولهواه على اخرته وهو
عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز امداده بنوع علم يتمكن به من
الوصول الى شهواته بل لم يزل علما السلف يتفقدون احوال
من يتردد اليهم فاذا راوا منهم تقصيرا في نفل من النوافل انكروه
وتركوا اكرامه واذا راوا منه فجورا واستحلال الحرام هجروه ونفوه
عن مجالسهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم بان من تعلم

مسئلة ولم يعمل بها وجاوزها الى غيرها فليس يطلب الا آلة الشر وقد
تعوذ جميع السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من
الفاجر الجاهل وحكي بعض اصحاب احمد انه كان يتردد اليه سنين
ثم اتفق ان اعرض عنه احمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسله عن
تغيره وهو لا يذكره حتى قال بلغني انك طينت حايط دارك من
جانب الشارع فقد اخذت قدر سمك الطين وهو انملة من شارع المسلمين
فلا تصلح لتعلم العلم فهكذا كان مراقبة السلف لاحوال طلبة العلم
فهذا وامثاله مما يلتبس على الاغبيا واتباع الشياطين وان كانوا ارباب
الطيالسة والاكمام الواسعة واصحاب الالسنة الطويلة والفضل
الكثير اعني الفضل من العلوم التي لا تشتمل على التحذير من الدنيا
والزجر عنها والترغيب في الاخرة والدعا اليها بل هي من العلوم التي
تتعلق بالخلق ويتوصل بها الى جمع الحطام واستتباع الناس
والتقدم على الاقران فاذن قوله عليه السلام الاعمال بالنيات تختص
من الاقسام الثلاثة بالطاعات والمباحات دون المعاصي اذ الطاعة
تنقلب معصية بالقصد وتكون طاعة بالقصد والمباح تنقلب معصية
وطاعة بالقصد فاما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد اصلا
نعم للنية دخل فيها وهو انه اذا انضاف اليها قصود خبيثة
تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة
القسم الثاني الطاعات وهي مرتبطة بالنيات في اصل

صحتها وفي تضاعف فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة
الله لا غير فان نوى الريا صارت معصية واما تضاعف الفضل
فبكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة يمكن ان ينوي بها خيرات
كثيرة فيكون له بكل نية ثواب اذ كل واحدة منها حسنة ثم تضاعف
كل حسنة عشرة امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد
فانه طاعة ويمكن ان ينوي فيه نيات كثيرة حتى يصير من فضايل اعمال
المتقين ويبلغ به درجات المقربين اولها ان يعتقد انه بيت الله
وان داخله زاير الله تعالى فيقصد به زيارة مولاه رجا لما وعده
به رسول الله صلعم حيث قال من قعد في المسجد فقد زار الله وحق
على المزور اكرام زايره وثانيها ان ينتظر الصلاة بعد الصلاة
فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى ورابطوا
وثالثها الترهب بكف السمع والبصر والاعضا عن الحركات والترددات
فان الاعتكاف كف وهو في معنى الصوم وهو نوع ترهب ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في المساجد ورابعها
عكوف الهم على الله ولزوم السر للفكر في الاخرة ودفع الشواغل
الصارفة عنه بالاعتزال الى المسجد وخامسها التجرد لذكر الله
او لاستماع ذكره او للتذكر به كما روي من غدا الى المسجد ليذكر الله
تعالى او يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله وسادسها ان يقصد
افادة علم بامر بمعروف ونهي عن منكر اذ المسجد لا يخلو عمن يسي صلاته

او يتعاطا ما لا يحل له فيامره بالمعروف ويرشده الى الدين فيكون شريكا
معه في خيره الذي تعلم منه فتتضاعف خيراته وسابعها
ان يستفيد اخا في الله فانها غنيمة وذخيرة للدار الاخرة والمسجد
معشش اهل الدين المحبين لله وفي الله وثامنها ان يترك
الذنوب حياء من الله تعالى وتجنبا من ان يتعاطا في بيت الله ما
يقتضي هتك الحرمة وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما
من ادمن الاختلاف الى المسجد رزقه الله احدى سبع خصال
اخا مستفادا في الله او رحمة مستنزلة او علما مستطرفا او كلمة
تدله على هدى او تصرفه عن ردى او يترك الذنوب خشية وحيا
فهذا طريق تكثير النيات وقس به ساير الطاعات والمباحات
اذ ما من طاعة الا وتحتمل نيات كثيرة وانما تحضر في قلب العبد
بقدر جده في طلب الخير وتشمره له وتفكره فيه فبهذا تزكو الاعمال
وتتضاعف الحسنات ه القسم الثالث

المباحات وما من شيء من المباحات الا ويحتمل نية او نيات تصير بها
من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات فما اعظم خسران
من يغفل عنها ويتعاطاها تعاطي البهائم المهملة عن سهو وغفلة
ولا ينبغي ان يستحقر العبد الخطرات والخطوات واللحظات
فكل ذلك يسئل عنه في القيامة انه لم فعله وما الذي قصد به هذا
في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه

حلالها حساب وحرامها عذاب وفي حديث معاذ بن جبل انه صلعم
قال ان العبد ليسئل يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن
فتات الطينة باصبعيه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر اخر من
تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه اطيب من المسك ومن تطيب
لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة ٭ فاستعمال الطيب
مباح ولكن لا بد فيه من نية فان قلت فما الذي يمكن ان ينوي
بالطيب وهو حظ من حظوظ النفس وكيف يتطيب لله تعالى
فاعلم ان من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي ساير الاوقات يتصور
ان يقصد التنعم بلذات الدنيا او يقصد به اظهار التفاخر بكثرة
المال ليحسده الاقران او يقصد به رياء الخلق ليقوم له الجاه في
قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة او ليتودد به الى قلوب النساء الا
جنبيات اذا كان مستحلا للنظر اليهن ولامور اخر لا تحصى وكل
هذا يجعل التطيب معصية فبه يكون انتن من الجيفة في القيامة
الا القصد الاول وهو التلذذ والتنعم فان ذلك ليس بمعصية
الا انه يسال عنه ومن نوقش الحساب عذب ومن اتى شيئا من مباح
الدنيا لم يعذب عليه في الاخرة ولكن ينقص من نعيم الاخرة له
بقدره وناهيك خسرانا بان يستعجل ما يفنى ويخسر زيادة نعيم
لا يفنى واما النية الحسنة فان ينوي به اتباع سنة
رسول الله عليه السلام يوم الجمعة وان ينوي به تعظيم المسجد

الذي هو بيت الله فلا يرى ان يدخله زاير الله الا طيب الرايحة وان يقصد به
ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته بروايحه وان يقصد به دفع
الروايح الكريهة عن نفسه التي تؤدي الى ايذاء مخالطيه وان يقصد حسم
باب الغيبة عن المغتابين اذا اغتابوه بالروايح الكريهة فيعصون الله
بسببه فمن تعرض للغيبة وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في
تلك المعصية كما قيل

مها ترحلت عن قوم وقد قدروا ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وقال الله تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
بغير علم اشار به الى ان التسبب الى الشر شر وان يقصد به معالجة
دماغه لتزيد فطنته وذكاؤه ويسهل عليه درك مهمات دينه بالفكر
فقد قال الشافعي رضي الله عنه من طاب ريحه زاد عقله فهذا وامثاله
من النيات لا يعجز الفقيه عنها اذا كان غرضه تجارة الاخرة وطلب الخير
غالبا على قلبه واذا لم يغلب على قلبه الا نعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات
وان ذكرت له لم ينبعث لها قلبه فلا يكون معه منها الا حديث النفس
وليس ذلك من النية في شيء والمباحات كثيرة ولا يمكن احصاء النيات
فيها فقس بهذا الواحد غيرها ولهذا قال بعض السلف اني لاستحب
ان يكون لي في كل شيء نية حتى في اكلي وشربي ونومي ودخولي الى الخلاء
فكل ذلك مما يمكن ان يقصد به وجه الله لان كل ما هو سبب لبقاء البدن
وفراغ القلب من مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصده من الاكل

التقوى على العبادة ومن الوقاع تحصين دينه وتطييب قلب اهله و
التوصل به الى ولد يعبد الله تعالى بعده فيكثر به امة محمد عليه السلام
كان مطيعا باكله ونكاحه واغلب حظوظ النفس الاكل والوقاع وقصد
الخير بهما غير ممتنع لمن غلب على قلبه هم الاخرة وكذلك ينبغي ان يحسن
نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله واذا بلغه اغتياب
غيره له فليطيب قلبه بانه سيحمل سيئاته وسينقل الى ديوانه
حسناته ولينو ذلك بسكوته عن الجواب ففي الخبر ان العبد ليحاسب
فتبطل اعماله لدخول الافة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له
من الاعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يا رب هذه
اعمال ما عملتها فيقال هي اعمال الذين اغتابوك واذوك وظلموك وفي الخبر
ان العبد ليوافي القيمة بحسنات امثال الجبال لو خلصت له لدخل الجنة
فياتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتص لهذا من حسناته
ولهذا من حسناته حتى لا تبقى له حسنة فتقول الملائكة قد فنيت
حسناته وبقي طالبون فيقول الله القوا عليه من سيئاتهم ثم
صكوا له صكا الى النار وبالجملة فاياك ثم اياك ان تستحقر شيئا
من حركاتك فلا تحترز من غرورها وشرورها ولا تعد جوابها يوم
السؤال والحساب فان الله مطلع عليك وشهيد وما يلفظ من قول
الا لديه رقيب عتيد وقد قال بعض السلف كتبت كتابا واردت
ان اتربه من منزل جار لي فتحرجت ثم قلت تراب وما تراب فاتربته

فهتف بي هاتف سيعلم من استخف بتراب ما يلقى غداً من سوء الحساب
وصلى رجل مع الثوري فرآه مقلوب الثوب فعرفه فمد اليد ليصلحه
ثم قبضه فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال اني لبسته لله تعالى ولا اريد
ان اسويه لغير الله وقد قال الحسن ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيامة
فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما اعرفك فيقول بلى انت اخذت
لبنة من حائطي واخذت خيطاً من ثوبي فهذا وامثاله من الاخبار قطع
قلوب الخائفين فان كنت من اولي الحزم والنهى ولم تكن من المغترين
فانظر لنفسك الان ودقق الحساب على نفسك قبل ان يدقق عليك
وراقب احوالك ولا تسكن ولا تتحرك ما لم تتأمل اولاً انك لم تتحرك وماذا
تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك به من الاخرة وبماذا
ترجح الدنيا على الاخرة فاذا علمت انه لا باعث الا الدين فامض عزمك
وما خطر ببالك والا فامسك ثم راقب ايضاً قلبك في امساكك وامتناعك
فان ترك الفعل فعل ولا بد له من نية صحيحة فلا ينبغي ان يكون لداعي
هوى خفي لا تطلع عليه ولا يغرنك ظواهر الامور ومشهورات الخيرات
وافطن للاغوار والاسرار تخرج من حيز اهل الاغترار فقد روي عن
زكريا عليه السلام انه كان يعمل في حائط بالطين وكان اجيراً لقوم فقدموا
اليه رغيفه اذ كان لا يأكل الا من كسب يده فدخل عليه قوم فلم يدعهم
الى طعامه حتى فرغ فتعجبوا منه لما علموا من سخائه وزهده وظنوا
ان الخير في طلب المساعدة في الطعام فقال اني اعمل لقوم باجرة

وقدموا الي الرغيفين لاتقوى بهما على عملهم فلو اكلتم معي لم يكفكم ولم يكفني
وضعفت عن عملهم فالبصير هكذا ينظر الى البواطن بنور الله تعالى
فان ضعفه عن العمل نقص في فرض وترك الدعوة الى الطعام نقص في
فضل ولا حكم للفضائل مع الفرائض وقال بعضهم دخلت على سفين
وهو يأكل فما كلمني حتى لعق اصابعه وقال لولا اني اخذته بدين لاحببت
ان تأكل منه وقال سفين من دعا رجلاً الى طعامه وليس له رغبة في ان
يأكل فان اجابه فاكل فعليه وزران وان لم يأكل فعليه وزر واحد
واراد باحد الوزرين النفاق وبالثاني تعريضه لاخيه لما يكره لو علمه
فهكذا ينبغي ان يتفقد العبد نيته في سائر الاعمال فلا يقدم ولا يحجم الا
بنية فان لم تحضره النية توقف فان النية لا تدخل تحت الاختيار

بيان ان النية غير داخلة تحت الاختيار

اعلم ان الجاهل يسمع ما ذكرناه من الوصية بتحسين النية وتكثيرها مع
قوله صلى الله عليه وسلم الاعمال بالنيات فيقول في نفسه عند تدريسه
او تجارته او اكله نويت ان ادرس لله او اتجر لله او اكل لله ويظن ان ذلك
نية وهيهات فذلك حديث نفس او حديث لسان او فكر او انتقال
من خاطر الى خاطر والنية بمعزل عن جميع ذلك وانما النية انبعاث
النفس وتوجهها وميلها الى ما ظهر لها ان فيه غرضها اما عاجلاً او آجلاً
والميل اذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الارادة بل ذلك
كقول الشبعان نويت ان اشتهي الطعام واميل اليه او قول الفارغ

نويت ان اعشق فلاناً واحبه واعظمه بقلبي وذلك محال بل لا طريق الى
اكتساب صرف القلب الى الشيء وميله اليه وتوجهه نحوه الا باكتساب
اسبابه وذلك مما يقدر عليه وقد لا يقدر وانما تنبعث النفس الى الفعل
اجابة للغرض الباعث الموافق للنفس الملائم لها وما لم يعتقد الانسان
ان غرضه منوط بفعل من الافعال فلا يتوجه نحوه قصده وذلك مما لا
يقدر على اعتقاده في كل حين واذا اعتقد فانما يتوجه القلب اذا كان
فارغاً غير مصروف عنه بغرض شاغل اقوى منه وذلك لا يمكن في كل
وقت والدواعي والصوارف لها اسباب كثيرة بها تجتمع وتختلف ذلك
بالاشخاص وبالاحوال وبالاعمال واذا غلبت شهوة النكاح مثلاً ولم يعتقد
غرضاً صحيحاً في الولد ديناً ودنياً لا يمكنه ان يواقع على نية الولد بل لا يمكن
الا على نية قضاء الشهوة اذ النية هي اجابة الباعث ولا باعث الا الشهوة
فكيف ينوي الولد واذا لم يغلب على قلبه ان اقامة سنة النكاح
اتباعاً لرسول الله يعظم فضله لا يمكن ان ينوي بالنكاح اتباع السنة
الا ان يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض وليس بنية نعم طريق
اكتساب هذه النية مثلاً ان يقوي اولاً ايمانه بالشرع ويقوي ايمانه
بعظم ثواب من سعى في تكثير امة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن
نفسه جميع المنفرات عن الولد من ثقل المؤنة وطول التعب وغيره
فاذا فعل ذلك ربما انبعث من قلبه رغبة الى تحصيل الولد للثواب
فتحركه تلك الرغبة وتحرك اعضاءه لمباشرة العقد فاذا انتهضت القدرة
المحركة

المحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان
ناوياً فان لم يكن كذلك فما يقدره في نفسه ويردده في قلبه من قصد الولد
وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف عن جملة من الطاعات
اذ لم تحضرهم النية وكانوا يقولون ليس تحضرنا فيه نية حتى ان ابن سيرين
لم يصل على جنازة الحسن البصري وقال ليس تحضرني نية ونادى بعضهم
امرأته وكان يسرح شعره ان هات المدرى فقالت اجيء بالمرآة فسكت
ساعة ثم قال نعم فقيل له في ذلك كان لي في المدرى نية ولم تحضرني
في المرآة فتوقفت حتى هيأها الله تعالى ومات حماد بن ابي سليمان
وكان احد علماء اهل الكوفة فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو كانت
لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا عملاً من اعمال البر قالوا ان رزقنا الله
تعالى نية فعلنا وكان طاوس لا يحدث الا بنية فكان يسأل ان يحدث
فلا يحدث ولا يسأل فيبتدئ فقيل له في ذلك فقال افتحبون ان
احدث بغير نية اذا حضرت لي نية فعلت وحكي ان داود بن المحبر
لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه
احمد صفحاً ورده فقال ما لك قال فيه اسانيد ضعاف فقال له داود
انا لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين الخبر انما نظرت فيه بعين
العمل فانتفعت قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت
فاخذه ومكث عنده طويلاً ثم قال جزاك الله خيراً فقد انتفعت به
وقيل لطاوس ادع لنا فقال حتى اجد له نية وقال بعضهم انا في طلب نية

لعيادة رجل منذ شهر فاصحبت لي بعد فقال عيسى بن كثير مشيت مع
ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال له ابنه الا تعرض عليه
العشا قال ليس من نيتي وهذا لان النية تتبع النظر فاذا تغير النظر
تغيرت النية وكانوا لا يرون ان يعملوا عملا الا بالنية لعلمهم بان النية
روح العمل وان العمل بغير نية صادقة ريا وتكلف وهو سبب مقت
لا سبب قرب وعلموا ان النية ليس هو قول القايل بقلبه نويت بل هي
انبعاث للقلب تجري مجرى الفتوح من الله تعالى فقد يتيسر في بعض
الاوقات وقد يتعذر في بعضها نعم من كان الغالب على قلبه امر الدين تيسر
عليه في اكثر الاحوال احضار النية للخيرات فان قلبه مايل بالجملة الى اصل
الخير فينبعث الى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه الى الدنيا وغلبت عليه
لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في الفرايض الا بجهد جهيد وغايته ان
يتذكر النار ويحذر نفسه عقابها او نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فربما
تنبعث له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته واما
الطاعة على نية اجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والعبودية
فلا تتيسر للراغب في الدنيا وهذه اعز النيات واعلاها ويعز من يفهمها
فضلا عمن يتعاطاها ونيات الناس في الطاعات اقسام اذ منهم من يكون
عمله اجابة لباعث الخوف فانه يتقي النار ومنهم من يعمل اجابة
لباعث الرجا وهو الرغبة في الجنة وهذا وان كان نازلا بالاضافة
الى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لامر سواه فهو من

جملة النيات الصحيحة لانه ميل الى الموعود في الاخرة وان كان من
جنس المالوفات في الدنيا واغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع
قضا وطرهما الجنة فالعامل لاجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالاجير
السو ودرجته درجة البله وانه لينالها بعمله اذ اكثر اهل الجنة البله
واما عبادة ذوي الالباب فلا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه حبا لجماله
وجلاله وساير الاعمال تكون موكدات وروادف وهولا ارفع درجة
من الالتفات الى المنكوح والمطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها
بل هم الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فقط وثواب
الناس بقدر نياتهم فلا جرم يتنعمون بالنظر الى وجهه الكريم
ويسخرون ممن يلتفت الى وجه الحور العين كما يسخر المتنعم بالنظر
الى الحور العين ممن يتنعم بالنظر الى وجه الصور المصنوعة من الطين
بل اشد فان التفاوت بين جمال الحور العين والصور المصنوعة من الطين
بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضا الوطر من مخالطة
الحسان واعراضها عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام
الخنفسا لصاحبها والفها لها واعراضها عن النظر الى جمال وجوه النسا
فعمى اكثر القلوب عن ابصار جمال الله وجلاله يضاهي عمى الخنفسا
عن ادراك جمال النسا فانه لا يشعر به اصلا ولا يلتفت اليه ولو كان له
عقل وذكر له لاستخف عقل من يلتفت اليهن ولا يزالون مختلفين
كل حزب بما لديهم فرحون ولذلك خلقهم حكي ان احمد بن خضرويه راى

ربه في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الا ابو يزيد فانه يطلبني وراى
ابو يزيد ربه في المنام فقال يا رب كيف الطريق اليك فقال اترك نفسك
وتعال وراى الشبلي بعد موته في المنام وقيل له ما فعل الله بك
فقال لم يطالبني على الدعاوي بالبرهان الا على قول واحد قلت يوما
اي خسارة اعظم من خسران الجنة فقال اي خسارة اعظم من خسران لقاي
والغرض ان هذه النيات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة
منها ربما لم يتيسر له العدول الى غيرها ومعرفة هذه الحقايق تورث اعمالا
وافعالا يستنكرها الظاهريون من الفقها فانا نقول من حضرت له نية
في مباح ولم تحضر في فضيلة فالمباح اولى وانتقلت الفضيلة اليه وصارت
الفضيلة في حقه نقيصة لان الاعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه
افضل من الانتصار في الظلم وربما تحضره نية في الانتصار دون الظلم
دون العفو ويكون ذلك افضل ومثل ان تكون له نية في الشرب
والاكل والنوم ليريح نفسه ويتقوى على العبادة في المستقبل
وليس تنبعث نيته في الحال للصوم والصلاة فالاكل والنوم هو الافضل
له بل لو مل العبادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضعفت رغبته
وعلم انه لو ترفه ساعة بلهو وحديث عاد نشاطه فاللهو افضل له
من الصلاة قال ابو الدردا اني لاستجم نفسي بشي من اللهو فيكون ذلك
عونا لي على الحق وقال علي رضي الله عنه روحوا القلوب فانها
اذا اكرهت عميت وهذه دقايق يدركها سماسرة العلما دون الحشوية

الى ابي موسى الاشعري من خلصت نيته كفاه الله تعالى ما بينه
وبين الناس وكتب بعض الاوليا الى اخ له اخلص النية في اعمالك
يكفيك القليل من العمل وقال ايوب السختياني تخليص النيات
على العمال اشد عليهم من جميع الاعمال وكان مطرف يقول من صفا صفي
له ومن خلط خلط عليه وراى بعضهم في المنام فقيل له كيف
وجدت اعمالك قال كل شي عملته لله وجدته حتى حبة رمان التقطتها
من طريق وحتى هرة ماتت لنا رايتها في كفة الحسنات وكان في قلنسوتي
خيط من حرير فرايته في كفة السيئات وكان قد نفق حمار لي قيمته ماتت
مائة دينار فما رايت له ثوابا فقلت موت سنور في الحسنات وموت حمار
ليس فيها فقيل لي انه قد وجه بعثته لما قيل لك قلت في
لعنة الله فبطل اجرك ولو قلت في سبيل الله لوجدته في
حسناتك وفي رواية تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني
نظرهم الي فوجدته لا علي ولا لي فقال سفيان لما سمع هذا ما احسن
حاله اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص
يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقيل كان رجل
يخرج في زي النسا ويحضر موضعا فيه عرس او مأتم يجتمع فيه النسا
فاتفق ان حضر يوما موضعا فيه مجمع للنسا فسرقت درة فصاحوا
ان اغلقوا الباب حتى نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة
حتى بلغت النوبة اليه والى امراة فدعا الله تعالى بالاخلاص

وقال ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل هذا فجرت الدرة
مع تلك المراة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة وقال
بعض الصوفية كنت قائما مع ابي عبيد التستري وهو يحرث ارضه
بعد العصر في يوم عرفة فمر به بعض اخوانه من الابدال فساره بشيء
فقال ابو عبيد لا فمر كالسحاب يمسح الارض حتى غاب عن عيني فقلت
لابي عبيد ما قال لك فقال سالني ان احج معه فقلت لا قال فهلا فعلت
قال ليس لي في الحج نية وقد نويت ان اتمم هذه الارض العشية فاخاف
ان حججت معه لاجله اتعرض لمقت الله تعالى لاني ادخل في عمل الله
تعالى شيا غيره فيكون ما انا فيه اعظم عندي من سبعين حجة
ويروى عن بعضهم قال غزوت في البحر فعرض بعضنا مخلاة فقلت
اشتريها فانتفع بها في غزوي فاذا دخلت مدينة كذا بعتها فربحت فيها
فاشتريتها فرايت تلك الليلة في النوم كان شخصين نزلا من السما فقال
احدهما لصاحبه اكتب الغزاة فاملا عليه اكتب خرج فلان متنزها
وفلان مرائيا وفلان تاجرا وفلان في سبيل الله ثم نظر الي وقال
اكتب خرج فلان تاجرا فقلت الله الله في امري ما خرجت اتجر
وما معي تجارة اتجر فيها ما خرجت الا للغزو فقال لي يا شيخ قد
اشتريت امس مخلاة تريد ان تربح فيها فبكيت وقلت لا تكتبوني تاجرا
فنظر الى صاحبه وقال ما ترى فقال اكتب خرج فلان غازيا الا انه
اشترى في طريقه مخلاة ليربح فيها حتى يحكم الله تعالى فيه ما يرى

وقال سري السقطي لان تصلي ركعتين في خلوة تخلصهما خير لك من ان تكتب
سبعين حديثا او سبع مائة بعلو اسنادها وقال بعضهم في اخلاص
ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز ويقال العلم بذر والعمل زرع وماؤه
الاخلاص وقال بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه ثلاثا ومنعه
ثلاثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الاعمال
الصالحة ومنعه الاخلاص فيها واعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها
وقال السوسي مراد الله من عمل الخلق الاخلاص فقط وقال الجنيد
ان لله عبادا عقلوا فلما عقلوا عملوا فلما عملوا اخلصوا فاستدعاهم الاخلاص
الى ابواب البر اجمع وقال محمد بن سعيد المروزي الامر كله
يرجع الى اصلين فعل منه بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص
فيما تعمل فاذا انت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين

بيان حقيقة الاخلاص

اعلم ان كل شي يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص عنه
سمي خالصا ويسمى الفعل المصفى المخلص اخلاصا قال تعالى
من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين فانما خلوص اللبن
ان لا يكون فيه شوب من الدم والفرث ومن كل ما يمكن ان يمتزج به والاخلاص
يضاده الاشراك فمن ليس مخلصا فهو مشرك الا ان للشرك درجات
فالاخلاص في التوحيد يضاده التشريك في الالهية والشرك منه
خفي ومنه جلي وكذا الاخلاص فالاخلاص وضده يتواردان

على القلب فمحله القلب وانما يكون ذلك في القصود والنيات وقد ذكرنا حقيقة
النية وانها ترجع الى اجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد
سمي الفعل الصادر عنه اخلاصا بالاضافة الى المنوي فمن تصدق وغرضه
محض الرياء فهو مخلص وان كان غرضه محض التقرب الى الله فهو مخلص غيره
ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله
عن جميع شوائبه كما ان الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة
بالميل عن الحق ومن كان باعثه مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولسنا نتكلم
فيه اذ ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربع المهلكات واقل امره ما ورد
في الخبر من ان المرائي يدعى في القيامة باربعة اسامي يا مرائي يا مخادع
يا مشرك يا كافر وانما نتكلم الان فيمن انبعث لقصد التقرب ولكن
امتزج بهذا الباعث باعث اخر اما من الرياء او من غيره من حظوظ
النفس ومثال ذلك ان يصوم لينتفع بالحمية الحاصلة به مع قصد
التقرب او يعتق عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه او يحج ليصح
مزاجه بحركة السفر او ليتخلص من شر يعرض له في بلده او ليهرب
عن عدو له في منزله او تبرم باهله وولده او لشغل هو فيه فاراد
ان يستريح عنه اياما او يغزو ليمارس الحرب ويتعلم اسبابه ويقدر به
على تهيئة العساكر وجرها او يصلي بالليل وله غرض في دفع
النعاس عن نفسه به ليراقب رحله او اهله او يتعلم العلم ليسهل
عليه طلب ما يكفيه من المال او ليكون عزيزا بين العشيرة او ليكون

عقاره وامواله محروسا بعز العلم عن الاطماع او اشتغل بالدرس والوعظ
ليتخلص من كرب الصمت ويتفرج بلذة الحديث او تكفل بخدمة العلماء
والصوفية لتكون حرمته وافرة عندهم وعند الناس او لينال به رفقا
في الدنيا او كتب مصحفا ليجود خطه بالمواظبة على الكتابة او حج ماشيا
ليخفف عن نفسه الكرا او توضا ليتنظف ويتبرد او اغتسل لتطيب
بلحيته او روى الحديث ليعرف بعلو الاسناد او اعتكف في المسجد
ليخف عليه كرا المسكن او صام ليخفف عن نفسه التردد في طبخ
الطعام او ليتفرغ لاشغاله فلا يشغله الاكل عنها او تصدق
على السائل ليقطع ابرامه في السوال عن نفسه او يعود مريضا
ويشيع جنازة ليعاد اذا مرض وتشيع جنائز اهله او يفعل
شيئا من ذلك ليعرف بالخير ويذكر به وينظر اليه بعين الصلاح
والوقار فمهما كان باعثه هو التقرب الى الله تعالى ولكن انضاف اليه
خطرة من هذه الخطرات حتى صار العمل اخف عليه بسبب هذه
الامور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج عن ان يكون خالصا
لوجه الله تعالى وتطرق الشرك اليه وقد قال تعالى انا اغنى الشركاء
عن الشركة وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح اليه
النفس ويميل اليه القلب قل او كثر اذا تطرق الى العمل تكدر به
صفوه وزال به اخلاصه والانسان مرتبط في حظوظه منغمس
في شهواته قلما ينفك فعل من افعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ

وأغراض عاجلة من هذه الأجناس ولذلك قيل من سلم له من عمره لحظة واحدة
خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب
عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث فيه إلا طلب القرب
من الله تعالى وهذه الحظوظ إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى
شدة الأمر على صاحبه فيها ولسنا ننظر فيها إذا كان القصد الأصلي هو
التقرب وانضافت هذه الأمور إليه ثم هذه الشوائب إما أن تكون
في رتبة الموافقة أو في رتبة المشاركة أو في رتبة المعاونة كما سبق
في النية وبالجملة فإما أن يكون الباعث النفسي مثل الباعث الديني
أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنذكره وإنما
الإخلاص تخليص العمل عن هذه الشوائب كلها قليلها وكثيرها
حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور
إلا من محب لله مستهتر به مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق
لحب الدنيا في قلبه قرار حتى لا يحب الأكل والشرب أيضا بل تكون
رغبته فيه كرغبته في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة الجبلة
فلا يشتهي الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله تعالى
ويتمنى أن لو كفي شر الجوع حتى لا يحتاج إلى الأكل فلا يبقى
في قلبه حظ من الفضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة
مطلوبا عنده لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله فمثل هذا الشخص
لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية

في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا ليريح نفسه ليتقوى على
العبادة بعده كان نومه عبادة وكان له درجة المخلصين فيه ومن ليس
كذلك فباب الإخلاص مسدود عليه في الأعمال إلا على الندور وكما أن من غلب
عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة
همه وصارت إخلاصا فالذي يغلب على نفسه الدنيا والرياسة وبالجملة
غير الله فقد اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته
من صومه وصلاته إلا نادرا فعلاج الإخلاص كسر حظوظ النفس
وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على
القلب فإذ ذاك يتيسر الإخلاص وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها
ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا لأنه لا يبصر
وجه الآفة فيها كما حكي عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين
سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأول لأني تأخرت يوما
لعذر فصليت في الصف الثاني فاعترتني خجلة من الناس حيث
رأوني في الصف الثاني فعرفت أن نظر الناس إلي في الصف الأول
كان مسرتي وسبب استراحة قلبي من حيث لا أشعر وهذا دقيق
غامض وقلما تسلم الأعمال عن أمثاله وقل من يتنبه له إلا من وفقه الله
والغافلون عنه يرون حسناتهم كلها في الآخرة سيئات وهم المرادون
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات
ما عملوا وبقوله قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم

في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا وأشد الخلق تعرضا
لهذه الفتنة العلماء فإن الباعث للأكثرين على نشر العلم لذة الاستيلاء والفرح
بالاستتباع والاستبشار بالحمد والثناء والشيطان يلبس عليهم ذلك ويقول
غرضكم نشر دين الله والنضال عن شرع رسول الله وترى الواعظ يمن
على الله بنصيحة الخلق ووعظه للسلاطين ويفرح بقبول الناس قوله
وإقبالهم عليه وهو يدعي أنه يفرح بما يسر له من نصرة الدين ولو ظهر من أقرانه
من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه
ولو كان باعثه الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه هذا المهم بغيره ثم
الشيطان مع ذلك لا يخليه ويقول إنما غمك لانقطاع الثواب عنك لا لا
نصراف وجوه الناس عنك إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت المثاب
واغتمامك بفوت الثواب محمود ولا يدري المسكين أن انقياده
للحق وتسليمه الأمر للأفضل أجزل ثوابا وأعود عليه في الآخرة من
انفراده وليت شعري لو اغتم عمر رضي الله عنه بتصدي أبي بكر
للإمامة أكان غمه محمودا أو مذموما ولا يستريب ذو دين أن ذلك كان
مذموما لأن انقياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصلح أعود عليه في الدين
من تكفله بمصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر
رضي الله عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر فما بال العلماء لا يفرحون
بمثل ذلك وقد ينخدع بعض أهل العلم بغرور الشيطان فيحدث
نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به وإخباره بذلك عن نفسه

قبل التجربة والامتحان محض الجهل والغرور فإن النفس سهلة القياد
في الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يف
بالوعد وذلك لا يعرفه إلا من عرف مكايد النفس وطال اشتغاله بامتحانها
فمعرفة حقيقة الإخلاص والعمل به بحر عميق يغرق فيه الجميع
إلا الشاذ النادر والفرد الفذ وهو المستثنى في قوله تعالى إلا عبادك
منهم المخلصين فليكن العبد شديد التفقد والمراقبة لهذه الدقائق
وإلا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر

بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص

قال السوسي الإخلاص فقد رؤية الإخلاص فإن من شاهد في إخلاصه
الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص وما ذكره إشارة إلى تصفية
العمل عن العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه
عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات فهذا
تعرض لآفة واحدة وقال سهل الإخلاص أن يكون سكون
العبد وحركاته لله تعالى خاصة وهذه كلمة جامعة محيطة بالغرض
وفي معناه قول إبراهيم بن أدهم الإخلاص صدق النية مع الله تعالى
وقيل لسهل أي شيء أشد على النفس فقال الإخلاص إذ ليس لها فيه
نصيب وقال رويم الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه
عليه عوضا في الدارين وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة آجلا
وعاجلا والعابد لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة معلول

بل الحقيقة ان لا يراد بالعمل الا وجه الله وهو اشارة الى اخلاص الصديقين
وهو الاخلاص المطلق فاما من يعمل لرجا الجنة وخوف النار فهو مخلص
بالاضافة الى الحظوظ العاجلة القايل لا يتحرك الانسان الا لحظ والبراة
من الحظوظ صفة الالهية ومن ادعا ذلك فهو كافر فقد قضى القاضي
ابو بكر الباقلاني بتكفير من يدعي البراة من الحظوظ وقال هذا من صفات
الالهية وما ذكره حق ولكن القوم انما ارادوا به البراة عما يسميه الناس
حظوظا وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط فاما التلذذ بمجرد
المعرفة والمناجاة والنظر الى وجه الله تعالى فهذا حظ هولا وهذا
لا يعده الناس حظا بل يتعجبون منه وهولا لو عوضوا عما هم فيه
من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة الشهود للحضرة الالهية سرا وجهرا
جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا اليه فحركتهم لحظ وطاعتهم
لحظ ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره وقال ابو عثمان
الاخلاص نسيان روية الخلق بدوام النظر الى الخالق وهو اشارة
الى افة الريا فقط وكذلك قول بعضهم الاخلاص في العمل ان
لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه اشارة الى مجرد
الاخفا وقد قيل الاخلاص ما استتر عن الخلايق وصفا عن العلايق
وهذا اجمع للمقاصد وقال المحاسبي هو اخراج الخلق من معاملة
الرب وهو اشارة الى مجرد نفي الريا وكذلك قول الخواص من شرب
من كاس الرياسة فقد خرج عن اخلاص العبودية وقال الحواريون

لعيسى عليه السلام ما الخالص من الاعمال قال الذي يعمل لله تعالى
لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا ايضا تعرض لترك الريا وانما خصه
بالذكر لانه اقوى الاسباب المشوشة للاخلاص وقال الجنيد
الاخلاص تصفية الاعمال عن الكدورات وقال الفضيل ترك
العمل من اجل الناس ريا والعمل من اجل الناس شرك والاخلاص ان
يعافيك الله تعالى عنهما وقيل الاخلاص دوام المراقبة ونسيان
الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والاقاويل في هذا كثيرة ولا فايدة
في تكثير النقل بعد انكشاف الحقيقة وانما البيان الشافي بيان سيد الاولين
والاخرين صلى الله عليه وسلم اذ سيل عن الاخلاص فقال ان تقول
ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد
الا ربك وتستقيم في عبادتك كما امرت وهذه اشارة الى قطع كل ما
سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقا

بيان درجات الشوايب والافات المكدرة للاخلاص

اعلم ان الافات المشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها
ضعيف مع الجلا وبعضها قوي مع الخفا ولا تفهم اختلاف درجاتها
في الخفا والجلا الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الريا فلنذكر
منه مثالا فنقول الشيطان يدخل الافة على المصلي مهما
كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول
له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بعين الوقار والصلاح

ولا يزدريك ولا يغتابك فتخشع جوارحه وتسكن اطرافه وتحسن صلاته
وهذا هو الريا الظاهر ولا يخفى ذلك على المبتدين من المريدين

الدرجة الثانية ان يكون المريد قد فهم هذه الافة واخذ منها حذره
فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت اليه ويستمر في صلاته كما كان
فياتيه في معرض الخير ويقول انت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك
وما تفعله يوثر عنك ويتاسى بك غيرك فيكون لك ثواب اعمالهم ان
احسنت وعليك الوزر ان اسات فاحسن عملك بين يديه فعساه
يقتدي بك في الخشوع وتحسين العبادة وهذا اغمض من الاول وقد ينخدع
به من لا ينخدع بالاول فهو ايضا عين الريا ومبطل للاخلاص فانه
ان كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرتضي لغيره تركه
فلم لا يرتضي لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن ان تكون نفس غيره اعز عليه
من نفسه فهذا محض التلبيس بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه
واستنار قلبه وانتشر نوره الى غيره فيكون له ثواب عليه واما هذا فمحض
النفاق والتلبيس فمن اقتدى به اثيب عليه واما هو فيطالب بتلبيسه
ويعاقب على اظهاره من نفسه ما ليس متصفا به

الدرجة الثالثة وهي ادق مما قبلها ان يجرب العبد نفسه
في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم ان مخالفته بين الخلوة والمشاهدة
للغير محض الريا ويعلم ان الاخلاص في ان تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته
في الملا ويستحيي من نفسه ومن ربه ان يتخشع لمشاهدة خلقه

تخشعا زايدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته
على الوجه الذي يرتضيه في الملا ويصلي في الملا ايضا كذلك فهذا ايضا
من الريا الغامض لانه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في الملا فلا يكون
قد فرق بينهما فالتفاته في الخلوة والملا الى الخلق بل الاخلاص ان تكون
مشاهدة البهايم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان
نفس هذا ليس تسمح باساة الصلاة بين اظهر الناس ثم يستحيي من
نفسه ان يكون في صورة المرايين ويظن ان ذلك يزول بان تستوي صلاته
في الخلا والملا وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا يلتفت
الى الجمادات في الخلا والملا جميعا وهذا شخص مشغول الهم بالخلق في الملا
والخلا جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان

الدرجة الرابعة وهي ادق واخفى ان ينظر اليه الناس
وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن ان يقول له اخشع لاجلهم
فانه قد عرف انه تفطن لذلك فيقول له الشيطان تفكر في عظمة الله
وجلاله ومن انت واقف بين يديه واستحي من ان ينظر الله الى
قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخشع جوارحه ويظن ان ذلك
عين الاخلاص وهو عين المكر والخداع فان خشوعه لو كان لنظره
الى جلاله لكانت هذه الخطرة تلازمه في الخلوة ولكان لا يختص
حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الامن من هذه الافة ان يكون
هذا الخاطر مما يالفه في الخلوة كما يالفه في الملا ولا يكون حضور الغير

هو السبب في حضور الخاطر كما لا يكون حضور بهيمة سببا فما دام يفرق
في احواله بين مشاهدة انسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن
صفو الاخلاص مدنس الباطن بالشرك الخفي من الريا وهذا الشرك
اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السودا في الليلة الظلما على الصخرة
الصما كما ورد به الخبر ولا يسلم من الشيطان الا من دق نظره وسعد
بعصمة الله تعالى وتوفيقه وهدايته والا فالشيطان ملازم للمتشمرين
لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الريا في كل حركة
من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة
ولبس الثياب فان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها حظ
خفي لارتباط نظر الخلق بها ولاستيناس الطبع بها فيدعو الشيطان
الى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان تتركها ويكون انبعاث
القلب باطنا لها لاجل تلك الشهوات الخفية او مشوبة بها شوبا
يخرج من حد الاخلاص بسببها وما لا يسلم عن هذه الافات كلها
فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد معمور نظيف حسن العمارة
يانس الطبع به فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضايل الاعتكاف
وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الانس بحسن صورة المسجد واستراحة
الطبع اليه ويتبين ذلك في ميله الى احد المسجدين او الى احد الموضعين
اذا كان احسن من الاخر وكل ذلك امتزاج بشوايب الطبع وكدورات
النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لعمري ان الغش الذي يمتزج بخالص

الذهب له درجات متفاوتة فمنها ما يغلب ومنها ما يقل لكن يسهل
دركه ومنها ما يدق بحيث لا يدركه الا الناقد البصير وغش القلب ودغل
الشيطان وخبث النفس اغمض من ذلك وادق كثيرا ولهذا قيل ركعتان
من عالم افضل عند الله من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير
بدقايق افات الاعمال حتى يخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادة
واغتراره بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه واستدارته وهو مغشوش
زايف في نفسه وقيراط من الخالص الذي يرتضيه الناقد خير من دينار
يرتضيه الغر الغبي فهكذا يتفاوت امر العبادات بل اشد واعظم
ومداخل الافات المتطرقة الى فنون الاعمال لا يمكن حصرها واحصاؤها فليقنع
بما ذكرناه مثالا والفطن يغنيه القليل عن الكثير والبليد لا يغنيه التطويل
ايضا فلا فايدة في التفصيل

بيــــان حكم العمل المشوب واستحقاق الثواب به

اعلم ان العمل اذا لم يكن خالصا لوجه الله بل امتزج به شوب من الريا
او حظوظ النفس فقد اختلف في ان ذلك هل يقتضي ثوابا ام يقتضي عقابا
ام لا يقتضي شيا اصلا فلا يكون له ولا عليه امــــا الذي لم يرد به
الا الريا فهو عليه قطعا وهو سبب المقت والعقاب وامــــا الخالص
لوجه الله فهو سبب الثواب وانما النظر في المشوب وظاهر الاخبـــار
تدل على انه لا ثواب له وليس تخلو الاخبار عن تعارض فيه والذي ينقدح
لنا فيه والعلم عند الله ان ينظر الى قدر قوة البواعث فان كان الباعث

الديني مساويا للباعث النفسي تقاوما وتساقطا وصار العمل لا له ولا عليه
وان كان باعث الريا اغلب واقوى فهو ليس بنافع بل هو مع ذلك مضر
ومقتضي للعقاب نعم العقاب الذي فيه اخف من عقاب العمل الذي
تجرد للريا ولم يمتزج به شايبة التقرب وان كان قصد التقرب اغلب
بالاضافة الى الباعث الاخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث
الديني وهذا لقوله تعالى ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ولقوله ان الله
لا يظلم مثقال ذرة فلا ينبغي ان يضيع قصد الخير بل ان كان غالبا
على قصد الريا حبط منه القدر الذي يساويه وبقيت زيادة وان كان
مغلوبا سقط بسببه شي من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطا
عن هذا ان الاعمال تاثيرها في القلوب بتاكيد صفاتها فداعية الريا من
المهلكات وانما غذا هذا المهلك وقوته العمل على وفقه وداعية الخير
من المنجيات وانما قوتها بالعمل على وفقه فاذا اجتمعت الصفتان في القلب
فهما متضادتان فاذا عمل على وفق مقتضى الريا فقد قوى تلك الصفة
واذا كان ذلك العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى ايضا تلك الصفة
واحدهما مهلك والاخر منجي فان كان تقوية هذا بقدر تقوية الاخر
فقد تقاوما فكان كالمستضر بالحرارة اذا تناول ما يضره ثم تناول من المبردات
ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كانه لم يتناولهما وان كان احدهما
غالبا لم يخل الغالب عن اثر فكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب
والادوية ولا ينفك عن اثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع

مثقال ذرة من الخير والشر ولا ينفك عن تاثير في انارة القلب او تسويده وفي
تقريبه من الله او ابعاده فاذا جا بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد
الى ما كان فلم يكن لا له ولا عليه وان كان الفعل مما يقربه شبرين والاخر يبعده
شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر وقد قال صلى الله عليه وسلم اتبع السيية
الحسنة تمحها فاذا كان الريا المحض يمحو الاخلاص المحض عقيبه فاذا
اجتمعا جميعا فلا بد وان يتدافعا بالضرورة ويشهد لهذا اجماع الامة
على ان من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه واثيب عليه وقد امتزج
به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن ان يقال انما يثاب على اعمال الحج عند
انتهايه الى مكة وتجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وانما المشترك طول
المسافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب ان يقال مهما كان
الحج هو المحرك الاصلي وكان غرض التجارة كالمعين والتابع فلا ينفك عن
نفس السفر عن ثواب وما عندي ان الغزاة لا يدركون في انفسهم
تفرقة بين غزو الكفار في جهة تكثر فيها الغنايم وبين جهة
لا غنيمة فيها ويبعد ان يقال ادراك هذه التفرقة يحبط بالكلية ثواب
جهادهم بل العدل ان يقال اذا كان الباعث الاصلي والمزعج القوي
هو اعلا كلمة الله وانما الرغبة في الغنيمة على سبيل التبعية فلا
يحبط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه الى الغنيمة
اصلا فان هذا الالتفات نقصان لا محالة فان قلت
فالايات والاخبار تدل على ان شوب الريا محبط للثواب وفي معناه

شوب طلب الغنيمة والتجارة وسائر الحظوظ فقد روى طاوس وغيره
من التابعين ان رجلا سال النبي عليه السلام عمن يصطنع المعروف
او قال يتصدق فيحب ان يحمد ويوجر فلم يدر ما يقول له حتى نزل
قوله فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه
احدا وقد قصد الاجر والحمد جميعا وروى معاذ انه عليه السلام قال
ادنى الرياء شرك وقال ابو هريرة قال النبي عليه السلام يقال لمن اشرك
في عمله خذ اجرك ممن عملت له وعن عبادة ان الله يقول انا اغنى الاغنيا
عن الشركة من عمل لي عملا فاشرك معي غيري ودعت نصيبي لشريكي
وروى ابو موسى ان اعرابيا اتاه فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية
والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله
فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو
في سبيل الله وقال عمر يقولون فلان شهيد ولعله ان يكون قد
ملا دفتي راحلته ورقا وقال ابن مسعود قال عليه السلام من هاجر
يبتغي شيئا من الدنيا فهو له ۝ فنقول هذه الاحاديث
لا تناقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك الا الدنيا كقوله
من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا او كان ذلك هو الاغلب على همه وقد ذكرنا
ان ذلك عصيان وعدوان لا لان طلب الدنيا حرام ولكن طلبها باعمال
الدين حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن وضعها واما
لفظ الشركة حيث ورد فمطلقه التساوي وقد بينا انه اذا تساوى

القصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا ينبغي ان يرجى عليه ثواب ثم
الانسان عند الشركة ابدا في خطر فانه لا يدري اي الامرين اغلب على
قصده فربما يكون عليه وبالا ولذلك قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا اي لا يرجى اللقاء مع الشركة التي احسن احوالها التسا قط
ويجوز ان يقال ايضا منصب الشهادة لا ينال الا بالاخلاص في الغزو
ويبعد ان يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزعجه الى مجرد الغزو
وان لم تكن غنيمة وقدر على غزو طائفتين من الكفار احداهما اغنيا
والاخرى فقرا فمال الى جهة الاغنياء لاعلاء كلمة الله وللغنيمة
انه لا ثواب له على غزوه البتة ونعوذ بالله ان يكون الامر كذلك
فان هذا حرج في الدين ومدخل اليأس على المسلمين لان امثال هذه
الشوائب التابعة قط لا ينفك الانسان عنها الا على الندور فيكون
تاثيرها اذا في نقصان الثواب فاما ان يكون في احباطه فلا نعم الانسان
فيه على خطر عظيم لانه ربما يظن ان الباعث الاقوى هو قصد التقرب
ويكون الاغلب على سره الحظ النفسي وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا
تحصل الاجر الا بالاخلاص والاخلاص قلما يستيقنه العبد من نفسه
وان بالغ في الاحتياط فلذلك ينبغي ان يكون ابدا بعد كمال الاجتهاد
مترددا بين الرد والقبول خائفا ان يكون في عبادته آفة يكون وبالها
اكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوي البصائر وهكذا
ينبغي ان يكون كل ذي بصيرة ولذلك قال سفين لا اعتد بما ظهر

من عملي وقال عبد العزيز بن ابي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة
وحججت ستين حجة فما دخلت في شي من اعمال الله الا وحاسبت نفسي
فوجدت نصيب الشيطان اوفى من نصيب الله ليته لا لي ولا علي ومع
هذا فلا ينبغي ان يترك العمل عند خوف الآفة والريا فان ذلك منتهى
بغية الشيطان منه اذ المقصود ان لا يفوت الاخلاص ومهما ترك العمل
فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكي ان بعض الفقرا كان
يخدم ابا سعيد الخراز ويخف في اعماله فتكلم ابو سعيد يوما في اخلاص
الحركات فاخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة ويطالبه بالاخلاص
فتعذر عليه قضا الحوائج واستضر الشيخ بذلك فسأله عن امره فاخبره
بمطالبة نفسه بحقيقة الاخلاص وانه يعجز عنها في اكثر اعماله فيتركها
فقال ابو سعيد لا تفعل ان الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على
العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فما قلت لك اترك العمل وانما قلت
اخلص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق ريا وفعله
لاجل الخلق شرك ۝

الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته

فضيلة الصدق

قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة
وان الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وان الكذب يهدي

الى الفجور وان الفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب حتى يكتب
عند الله كذابا ۝ ويكفي في فضيلة الصدق ان الصديق مشتق منه
والله تعالى وصف به الانبيا في معرض المدح والثنا فقال واذكر في الكتاب
ابرهيم انه كان صديقا نبيا وقال واذكر في الكتاب ادريس انه
كان صديقا نبيا ۝ وقال ابن عباس اربع من كن فيه فقد ربح الصدق
والحيا وحسن الخلق والشكر وقال بشر بن الحارث من عامل الله
بالصدق استوحش من الناس وقال ابو عبد الله الرملي رايت
منصور الدينوري في المنام فقلت له ما فعل الله بك فقال غفر لي
ورحمني واعطاني ما لم امل فقلت له احسن ما توجه به العبد الى الله
ماذا قال الصدق واقبح ما توجه به الكذب ۝ وقال ابو سليمان
اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك ۝
وقال رجل لحكيم ما رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين
وعن محمد بن علي الكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبنيا على ثلاثة
اركان على الحق والصدق والعدل فالحق على الجوارح والعدل على
القلوب والصدق على العقول ۝ وقال الثوري في قوله
تعالى ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة
قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين ۝
واوحى الله تعالى الى داود يا داود من صدقني في سريرته صدقته
عند المخلوقين في علانيته ۝ وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى بنفسه

في الدجلة فقال الشبلي ان كان صادقا فالله ينجيه كما انجى موسى عليه
السلام وان كان كاذبا فالله تعالى يغرقه كما اغرق فرعون ۝ وقال
بعضهم اجمع العلما والفقها على ثلاث خصال انها اذا صحت ففيها
النجاة ولا يتم بعضها الا ببعض الاسلام الخالص عن البدعة والهوى
والصدق لله تعالى في الاعمال وطيب المطعم ۝ وقال وهب بن منبه
وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحا بني اسرائيل
يجتمعون فيقرؤنها ويتدارسونها لا كنز انفع من العلم ولا مال اربح
من الحلم ولا حسب اوضع من الغضب ولا قرين ازين من العمل
ولا رفيق اشين من الجهل ولا شرف اعز من التقوى ولا كرم اوفى من ترك
الهوى ولا عمل افضل من الفكر ولا حسنة اعلى من الصبر
ولا سيئة اخزى من الكبر ولا دوا الين من الرفق ولا دا اوجع من
الخرق ولا رسول اعدل من الحق ولا دليل انصح من الصدق
ولا فقر اذل من الطمع ولا غنا اشقى من الجمع ولا حياة اطيب
من الصحة ولا معيشة اهنا من العفة ولا عبادة احسن من الخشوع
ولا زهد خير من القنوع ولا حارس احفظ من الصمت ولا غائب اقرب
من الموت ۝ وقال محمد بن سعيد المروزي اذا طلبت الله بالصدق
اتاك الله تعالى مرآة بيدك حتى تبصر كل شي من عجائب الدنيا والاخرة ۝
وقال ابو بكر الوراق احفظ الصدق فيما بينك وبين الله والرفق فيما
بينك وبين الخلق وقيل لذي النون هل للعبد الى اصلاح امره

سبيل فقال

قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل
فدعاوي الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل

وقيل لسهل ما اصل هذا الامر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخا
والشجاعة فقيل زدنا فقال التقى والحيا وطيب الغذا ۝ وعن ابن عباس
انه عليه السلام سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق ۝
وعن الجنيد في قوله تعالى ليسأل الصادقين عن صدقهم قال يسأل الصا
دقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر ۝

بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراتبه

اعلم ان لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق
في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفا بالعزم وصدق
في العمل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن اتصف بالصدق في
جميع ذلك فهو صديق لانه مبالغة من الصدق ثم هم ايضا على درجات
ومن كان له حظ من الصدق في شي من الجملة فهو صادق بالاضافة
الى ما فيه صدقه ۝

الصدق الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في
الاخبار او فيما يتضمن الاخبار وينبه عليه والخبر اما ان يتعلق بالماضي
او بالمستقبل وفيه يدخل الوفا بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد
ان يحفظ الفاظه فلا يتكلم الا بالصدق وهذا هو اشهر انواع الصدق

واظهرها فمن حفظ لسانه عن الاخبار عن الاشيا على خلاف ما هي عليه
فهو صادق ولكن لهذا الصدق كمالان ۝ احدهما الاحتراز
عن المعاريض فقد قيل في المعاريض مندوحة عن الكذب وذلك لانها
تقوم مقام الكذب اذ المحذور من الكذب تفهيم الشي على خلاف ما هو
عليه في نفسه الا ان ذلك مما تمس اليه الحاجة وتقتضيه المصلحة في
بعض الاحوال وفي تاديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجراهم وفي
الحذر من الظلمة وفي قتال الاعدا والاحتراز عن اطلاعهم على اسرار
الملك فمن اضطر الى شي من ذلك فصدقه فيه ان يكون نطقه فيه لله
فيما يامره الحق به ويقتضيه الدين فاذا نطق به فهو صادق وان كان كلامه
مفهما غير ما هو عليه لان الصدق ما اريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعا
اليه فلا ينظر الى صورته بل الى معناه نعم في مثل هذا الموضع ينبغي
ان يعدل الى المعاريض ما وجد اليه سبيلا كان رسول الله عليه السلام
اذا توجه الى سفر ورى بغيره وذلك كيلا ينتهي الخبر الى الاعدا
فيقصد وليس هذا من الكذب في شي قال رسول الله صلعم ليس بكاذب
من اصلح بين اثنين فقال خيرا ۝ ورخص في النطق على وفق المصلحة
في ثلاث مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في
مصالح الحرب ۝ والصدق هاهنا يتحول الى النية فلا يراعى فيه الا صدق
النية وارادة الخير فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت للخير ارادته
كان صادقا وصريحا كيف ما كان لفظه ثم التعريض فيه اولى

وطريقه ما حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في
داره فقال لزوجته خطي باصبعك دائرة وضعي الاصبع عليها وقولي
ليس هاهنا فاحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان
قوله صدقا وافهم الظالم انه ليس في الدار فالكمال الاول في اللفظ ان يحترز
عن صريح اللفظ وعن المعاريض ايضا الا عند الضرورة والكمال الثاني
ان يراعي معنى الصدق في الفاظه التي يناجي بها ربه كقوله وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض فان قلبه ان كان منصرفا عن الله
مشغولا باماني الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله اياك نعبد وقوله
انا عبد الله فانه اذا لم يتصف بحقيقة العبودية وكان له مطلب
سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طولب يوم القيامة بالصدق في قوله
انا عبد الله لعجز عن تحقيقه فانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا
او عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تقيد العبد به فهو عبده
كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا تعس عبد الدينار
تعس عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الخميصة سمى كل من تقيد
قلبه بشي عبدا له وانما العبد الحق لله من اعتق اولا عن غير الله
تعالى فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا
فحلت فيه العبودية لله فتشغله بالله ومحبته وتقيد ظاهره وباطنه
بطاعته فلا يكون له مراد الا الله تعالى ثم قد يجاوز هذا الى مقام
اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث

هو هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب او ابعاد فتفنى ارادته في
ارادة الله تعالى وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرا ثم عاد وعتق
عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه
ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان ابتلاه رضي لم يبق فيه متسع لطلب
والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا
منتهى الصدق في العبودية فالعبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه
وهذه درجات الصديقين واما الحرية عن غير الله فمن درجات الصادقين
وبعدها تتحقق العبودية لله وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه ان يسمى
صادقا ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول
الصدق الثاني في النية والارادة ويرجع ذلك الى الاخلاص
وهو ان لا يكون له باعث في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه
شوب من حظوظ النفس بطل صدق النية وصاحبه يجوز ان يسمى كاذبا
كما رويناه في فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين يسأل العالم ماذا عملت
فيما علمت فقال فعلت كذا وكذا فقال الله كذبت اردت ان يقال فلان
عالم فانه لم يكذبه ولم يقل له لم تعمل ولكن كذبه في ارادته ونيته وقد قال
بعضهم الصدق صحة التوجه في القصد وكذلك قال الله تعالى والله
يشهد ان المنافقين لكاذبون وقد قالوا انك لرسول الله وهذا صدق
ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب
يتطرق الى الخبر وهذا القول يتضمن اخبارا بقرينة الحال اذ صاحبه

يظهر من نفسه انه يعتقد ما يقوله فكذب في دلالته بقرينة الحال على
ما في قلبه فانه كذب في ذلك وان لم يكذب فيما تلفظ به فيرجع احد معاني
الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد وان يكون
مخلصا الصدق الثالث صدق العزم فان الانسان قد
يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه
او بشطره او ان لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت ولم ابال وان قتلت
وان اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله تعالى بظلم وميل
الى خلق فهذه العزيمة قد يصادفها من نفسه وهي عزيمة جازمة صادقة
وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة
وكان الصدق ههنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال لفلان شهوة
صادقة ويقال هذا المريض شهوته كاذبة مهما لم تكن شهوته عن سبب
ثابت قوي او كانت ضعيفة فقد يطلق الصدق ويراد به هذا المعنى
فالصادق والصديق هو الذي تصادف عزيمته في الخيرات كلها قوية
تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل تسخو نفسه ابدا بالعزم
المصمم الجازم على الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه لان اقدم
فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم فيهم ابو بكر فانه قد وجد
من نفسه العزم الجازم والمحبة الصادقة بانه لا يتامر مع وجود ابي بكر
واكد ذلك بما ذكره من القتل ومراتب الصديقين في العزائم تختلف
فقد يصادف العزم ولا ينتهي به الى ان يرضى بالقتل فيه ولكن اذا خلي

ورايه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض لا ينقض عزمه بل في
الصادقين والمؤمنين من لو خير بين ان يقتل هو او ابو بكر كانت حياته
احب اليه من حياة ابي بكر الصدق الرابع في الوفاء بالعزم
فان النفس قد تسخو بالعزم في الحال اذ لا مشقة في الوعد والعزم
والمؤونة فيه خفيفة فاذا حقت الحقائق وحصل التمكن وهاجت الشهوات
انحلت العزيمة وغلبت الشهوة ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد الصدق
فيه ولذلك قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فقد روي عن
انس ان عمه انس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلعم فشق ذلك
على قلبه وقال اول مشهد شهده رسول الله عليه السلام غبت عنه اما
والله لئن اراني الله مشهدا مع رسول الله ليرين الله ما اصنع فشهد
احدا في العام القابل فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا ابا عمرو الى اين
فقال واها لريح الجنة اني اجد ريحها دون احد فقاتل حتى قتل فوجد
في جسده بضع وثمانون من بين رمية وضربة وطعنة فقالت اخته ما
عرفت اخي الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وقال فضالة بن عبيد
سمعت عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول الشهداء اربعة رجل مؤمن جيد الايمان لقي العدو فصدق الله حتى
قتل فذلك الذي يرفع الناس اليه اعينهم يوم القيامة هكذا ورفع
راسه حتى وقعت قلنسوته قال الراوي فلا ادري قلنسوة عمر

او قلنسوة رسول الله ورجل جيد الايمان اذا لقي العدو فكانما يضرب وجهه
بشوك الطلح اتاه سهم فقتله وهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط
عملا صالحا واخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة
الرابعة وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس قعودا فقالا ان
رزقنا الله لنصدقن فبخلوا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا
من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين وقال بعضهم انما هو شيء
نووه في انفسهم لم يتكلموا به فقال ومنهم من عاهد الله فلما اتاهم
من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى
يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون فجعل العزم
عهدا وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق اشد من الصدق
الثالث فان النفس قد تسخو بالعزم ثم تكيع عند الوفاء لشدته عليها
ولهيجان الشهوات عند التمكن وحصول الاسباب ولذلك استثنى عمر
رضي الله عنه فقال لان اقدم فتضرب عنقي احب الي من ان اتامر على قوم
فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل شيئا لا اجده لاني
لا امن ان يثقل عليها ذلك فتتغير عن عزمها اشار بذلك الى شدة
الوفاء بالعزم وقال ابو سعيد الخراز رايت في المنام كان ملكين نزلا
من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا
الى السماء الصدق الخامس في الاعمال وهو ان يجتهد حتى لا
تدل اعماله الظاهرة على امر في باطنه لا يتصف هو به لا بان يترك الاعمال

ولكن بان يستجر الباطن الى تصديق الظاهر وهذا الخلاف ما ذكرناه من ترك
الريا لان المرائي هو الذي يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع في
صلوته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر
اليه يراه قائما بين يدي الله تعالى وهو بالباطن قائم في السوق بين يدي
شهوة من شهواته فهذه اعمال تعرب بلسان الحال عن الباطن اعرابا هو فيه
كاذب وهو مطالب بالصدق في الاعمال وكذلك قد يمشي الرجل
على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق
في عمله وان لم يكن ملتفتا الى الخلق ولا مرائيا اياهم ولا ينجو عن هذا الا باستوا
السريرة والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره او خيرا من ظاهره ومن
خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر ولبس ثياب الاشرار كيلا
يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا في دلالة الظاهر على الباطن فاذن
مخالفة الظاهر للباطن ان كان عن قصد سمي ريا ويفوت به الاخلاص وان
كان عن غير قصد فيفوت به الصدق ولذلك قال عليه السلام اللهم اجعل سريرتي
خيرا من علانيتي واجعل علانيتي صالحة وقال يزيد بن الحرث اذا استوت
سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته افضل من علانيته
فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك الجور وانشدوا
اذا السر والاعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا
فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل سوى الكد والعنا
كما خالص الدينار في السوق نافق ومغشوشه المردود لا يقتضي المنا

وقال

وقال عطية بن عبد الغافر اذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى
الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقا وقال معوية بن قرة من يدلني على بكا
بالليل بسام بالنهار وقال عبد الواحد كان الحسن اذا امر بشي كان من اعمل
الناس له واذا نهى عن شي كان من اترك الناس له ولم ار احدا قط اشبه
سريرة بعلانية منه وكان ابو عبد الرحمن الزاهد يقول الهي عاملت
الناس فيما بيني وبينهم بالامانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويبكي
وقال ابو يعقوب النهرجوري الصدق موافقة الحق في السر
والعلانية فاذا مساواة السريرة للعلانية احد انواع الصدق
الصدق السادس وهو اعلى الدرجات واعزها الصدق في مقامات
الدين كالصدق في الخوف والرجا والتعظيم والزهد والرضا والحب
والتوكل وساير هذه الامور فان هذه الامور لها مبادي ينطلق الاسم
بظهورها ثم لها غايات وحقايق والصادق المحقق من نال حقيقتها
واذا غلب الشي وتمت حقيقته يسمى صاحبه صادقا فيه كما يقال فلان
صدق القتال ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة
وقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا
الاية الى قوله اوليك هم الصادقون وقال تعالى ولكن البر من امن بالله
واليوم الاخر والصابرين في البأسا والضرا وحين البأس الى قوله
اوليك الذين صدقوا وسيل ابو ذر عن الايمان فقرا هذه الاية فقيل له
سالناك عن الايمان فقال سالت رسول الله صلى الله عليه عن الايمان فقرا

هذه الاية ولنضرب للخوف مثلا فما من عبد يومن بالله الا وهو خايف
من الله خوفا ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق اي غير بالغ درجة
الحقيقة اما تراه اذا خاف سلطانا او قاطع طريق في سفره كيف يصفر
لونه وترتعد فرايصه ويتنغص عليه عيشه ويتعذر عليه اكله ونومه ويتشوش
عليه فكره حتى لا ينتفع به اهله وولده وقد ينزعج عن الوطن فيستبدل
بالانس الوحشة وبالراحة التعب والمشقة والتعريض للاخطار
كل ذلك خوفا من درك المحذور ثم انه يخاف النار ولا يظهر عليه شي من ذلك
عند جريان معصية عليه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لم ار مثل النار
نام هاربها ولم ار مثل الجنة نام طالبها فالتحقيق في هذه الامور عزيز جدا
ولا غاية لهذه المقامات حتى ينال تمامها ولكن لكل عبد منه حظ بحسب
حاله اما ضعيف واما قوي فاذا قوي يسمى صادقا فيه فمعرفة الله و
تعظيمه والخوف منه لا نهاية له ولذلك قال عليه السلام لجبريل احب
ان اراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك قال بلى ارني
قال فواعده بالبقيع في ليلة مقمرة فاتاه فنظر النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا هو به قد سد الافق يعني جوانب السما فوقع النبي عليه السلام
مغشيا عليه فافاق وقد عاد جبريل لصورته الاولى فقال عليه السلام
ما ظننت ان احدا من خلق الله هكذا فقال كيف لو رايت اسرافيل
ان العرش لعلى كاهله وان رجليه قد مرقتا تخوم الارضين السفلى
وانه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوضع يعني كالعصفور الصغير

فانظر ما الذي تغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع الى ذلك
الحد وساير الملايكة ليس كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق
في التعظيم وقال جابر قال عليه السلام مررت ليلة اسري بي وجبريل
بالملا الاعلى كالحلس البالي من خشية الله تعالى يعني الكسا الذي
يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خايفين وما كانوا بلغوا خوف
رسول الله وكذلك قال ابن عمر ما يبلغ احد حقيقة الايمان حتى
ينظر الى الناس كلهم حمقى في دين الله وقال مطرف ما من الناس
احد الا وهو احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الحمق اهون من بعض
وقال عليه السلام لا يبلغ عبد حقيقة الايمان حتى ينظر الى الناس كالاباعر
في جنب الله ثم يرجع الى نفسه فيجدها احقر حاقر فالصادق
اذا في جميع هذه المقامات عزيز ثم درجات الصدق لا نهاية لها وقد
يكون للعبد صدق في بعض الامور دون بعض فان كان صادقا في الجميع
فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة انا فيهن قوي وما سواهن
ضعيف ما صليت صلاة منذ اسلمت فحدثت نفسي حتى افرغ منها
ولا شيعت جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قايلة وما هو مقول لها حتى
يفرغ من دفنها وما سمعت النبي عليه السلام يقول قولا الا علمت انه
حق فقال ابن المسيب ما ظننت ان هذه الخصال تجتمع الا في النبي عليه
السلام فهذا صدق في هذه الامور وكم من جلة الصحابة قوم قد ادوا
الصلاة واتبعوا الجنايز ولم يبلغوا هذا المبلغ فهذه هي درجات الصدق

ومعانيه والكلمات المأثورة عن المشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تشعر
إلا آحاد هذه المعاني نعم قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق
التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة فصدق التوحيد لعامة المؤمنين
قال تعالى والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون وصدق الطاعة
لأهل العلم والورع وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض
وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه
الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الأقسام وقال جعفر الصادق
الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختر عليك غيرك
فقال تعالى هو اجتباكم وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إني
إذا أحببت عبدا ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه
فإن وجدته صابرا اتخذته وليا وحبيبا وإن وجدته جزوعا يشكوني إلى
خلقي خذلته ولا أبالي فإذا من علامات الصدق كتمان المصائب والطاعات
جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها والله أعلم بالصواب

آخر كتاب النية والإخلاص والحمد لله رب العالمين وصلواته
على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين
وسلم تسليما كثيرا